قناديل الفراغ

نشوان زيد علي عشر

النبراس
للطباعة و النشر

النبراس
للطباعة و النشر
صنعاء

قناديل الفراغ

(رواية)

بقلم :

نشوان زيد علي عنتر

م٢٠٢٣

الإهداء

إلـــى مدينـــة تعـــز الحالمـــة الجميلـــة الرائعـــة و رمـــز التحضـــر و التمـــدن فـــي العربيـــة الســـعيدة قبـــل أن يـــنهش حثالـــة المجتمـــع القبلـــي الزيـــدي فـــي جسدها الجريح .

المؤلف ،،،،،،،،،،

القنديل الأول

النشأة المبكرة

تذمر مارد الثورة من إنتظاره الطويل لنديمه المتشائم مازن غافر و زاد تذمره أكثر فأكثر لحظة قدومه المتأخر لبلاطه الثوري الشاحب في ميدان التحرير بعيد صلاة المغرب و جلوسه بالقرب منه دون أن ينطق بحرف واحد لإنشغاله الحثيث بصورة فوتوغرافية قديمة موضوعة بين راحتيه ، فثارت ثائرته و هز خوذته الحديدية بخرطومها الفولاذي يمينا يسارا تارة و من أعلى إلى أسفل تارة أخرى على الصورة التي بحوزته و شغلت تفكيره عن لقائه أو مخاطبته إلى هذا الحد قبل أن يهدئ مازن من روعه و يعود إلى هدوئه الصنمي مجددا بعدما شرح له بعضا من تفاصيلها المرتبطة بصاحبها الضخم الجثة و ملامح وجهه المصرية الطراز البعيدة كل البعد عن مواطنيه الأقزام بأجسادهم النحيلة و

أجسامهم الضعيفة و عظامهم القابلة للكسر بعدما نخر الجوع و المرض المفتعلين فيهن ردحا من الزمن ، و شخصيته الوسيمة الجذابة الآسرة لقلوب الملايين من أبناء شعبه الناكر لمعروفه العظيم و الخائن لعطائه اللامحدود في خدمتهم و وطنهم دون مقابل طوال فترة حكمه القصيرة الآجل ألا و هو إبراهيم الحمدي .

(شارف الإحتفال الرسمي الخاص بالوحدة اليمنية المنعقد على شرف الذكرى الأولى لإعلانها المجيد في استاد الشهيد الحبيشي المتواضع كعادته منذ إنشائه بمدينة عدن فترة الاستعمار البريطاني على الإنتهاء حيث كان ختامها مسك و عنبر ملؤها الأفراح و الأهازيج و الزغاريد تزينها أعلام اليمن الواحد و الألعاب النارية الملونة المخترقة لكبد السماء في الليلة الظلماء على يد المواطنين شمالا و جنوبا فرحا و طربا بالحلم الذي كانوا ينتظرونه أن

يتحقق بفارغ الصبر قبل أن يتحول إلى سراب يحسبه الظمآن ماء .

كنت أنا واحد من هؤلاء المبتهجين عندما صرحت أمام عائلتي المسرورة شكلا الغاضبة مضمونا بما حدث و إعجابي بعمنا رئيس الجمهورية علي عبدالله صالح معتبرا إياه بأنه صانع الوحدة اليمنية بلا منازع قبل أن يرد أخي الأوسط جهارا بعبارة مستفزة ثبطت من فرحتي العارمة مفادها أن إبراهيم الحمدي هو الصانع الحقيقي للوحدة فحسب ، طبعا ما قاله ليس حبا في زيد بل كراهية في عمرو دون أن أعلم من عمرو المقصود بكرهه الشديد من وجهة نظره عمنا أم النظام الجمهوري و عقيدتها السبتمبرية ؟ و بغية الصيد في المياه الراكدة لغاية في نفس يعقوب لا يعلمها إلا الله جل جلاله ، و بغض النظر عن نواياه الدفينة بخير أو بشر فيما قاله سلفا ، إلا إنها قادتني إلى التعرف على هذه

الشخصية المجهولة بالنسبة لي طيلة طفولتي المبكرة حيث لم أكن أعلم عن سيرته الذائعة الصيت ما ظهر منها أو بطن سوى النذر اليسير من حطام المعرفة المحيط بها خيرا و شرا على حد سواء !

بدأت التنقيب عنه من خلال والدي و أسرتي الكتب و الصحف المحلية القليلة في منزلنا و المتربطة لأكتشف أنه شخصية فذة جديرة بالإهتمام تستحق أن تؤلف حول سيرة حياته آلاف العناوين داخل البلاد و خارجها حيث أجمع اليمنيون في الشمال و الجنوب و المخلاف السليماني الخاضع للإستعمار السعودي و إقليم ظفار الخاضع بدوره للإستعمار العماني بكافة أطيافهم على حبه الدائم الذي لم ينضب حتى بعد إستشهاده عام ١٩٧٧م لما قدمه من إنجازات مشرفة و عظيمة فائقة للعادة رفع من خلالها وطنه الغارق في وحل الثرى و

دهـــاليز العصـــور الحجريـــة لعقـــود طـــوال إلـــى الثريـــا و نعيمهـــا الخالـــد و قضـــى علـــى أوكـــار الظلـــم و الجهـــل و المـــرض و الفقـــر و الفســـاد المـــالي و الإداري فيهـــا إلـــى الأبـــد رغـــم أنـــه لـــم يكـــن لـــه أي دور يـــذكر فـــي الإســـهام النضـــالي بقيـــام ٢٦ ســـبتمبر الخالـــدة لا مـــن قريـــب أو من بعيد !!

فبطلنـــا المغـــوار كـــان فيمـــا مضـــى مـــن أعـــوان النظـــام البائـــد فـــي ســـلك القضـــاء الرســـمي علـــى نهـــج والـــده القاضـــي محمـــد الحمـــدي الـــذي عـــين قاضـــيا فـــي مســـقط رأس نجلـــه الأصـــغر قعطبـــة و رئيســـا لمحكمتهـــا الشـــرعية عـــام ١٩٤٠م رغمـــا عنـــه بـــأمر صـــادر مـــن الإمـــام ذاتـــه حيـــث لـــم يكـــن راضـــيا أن ينتقـــل مـــن موطنـــه الأصـــلي ثـــلا[1] الـــى منطقـــة يســـكنها كفـــار التأويـــل[2] و

[1] تقع في محافظة صنعاء (المؤلف) .

[2] مصـــطلح سياســـي عنصـــري زيـــدي يطلـــق علـــى أتبـــاع المـــذهب الشـــافعي و ظهـــر لأول مـــرة علـــى يـــد إمـــام الـــيمن المتوكـــل اســـماعيل بـــن القاســـم (١٦٣٣-١٦٧٦ م) عنـــدما فـــرض ضـــريبة الخـــراج المخالفـــة للشـــرع علـــى الشـــوافع و الإســـماعيليين عـــام ١٦٤٣م (المؤلف) .

أصحاب الخمس[٣] حسب إعتقاداته الزيدية المتطرفة و لا سيما و أنه ينتمي وفقا للسلم الطبقي العنصري الذي وضعه الأئمة الزيديين في اليمن الشمالي إلى طبقة القضاة الواقعة خلف السادة الهاشميين رغم وجود بعضا من أبناء جلدته بعائلاتهم و عقاراتهم بينهم منذ آلاف السنين ، إلا أنهم من وجهة نظره قد تلوثوا بثقافتهم و قيمهم الإجتماعية الفاسدة و عقائدهم الباطلة .

ما إن وطأت قدماه مع زوجته الثانية الحامل بلاط المنزل التقليدي المهترئ المخصص له في مدينة قعطبة بعدما نزل من موكبه الرسمي المصاحب لقدومه إليها تحت حراسة العكفة قبل يومين من إستلام عمله حتى تأمل من شرفتها الشبه عالية معظم أرجاء المدينة التي لم تكن تختلف كثيرا عن مسقط رأسه من حيث إحتضان الجبال الجرداء

[٣] يطلق على الطبقات المنبوذة و المحتقرة اجتماعيا الذين يقبعون أسفل السلم الطبقي الاجتماعي السائد لدى اتباع المذهب الزيدي في اليمن و يشمل طبقة المزاينة و الجزارين و الداوشين و الحجامين و الخدم (المؤلف) .

العاليـــة لأرضـــها و أهلهـــا و نمـــط المعمـــار الصـــنعاني المتواضـــع علـــى معظـــم دورهـــا و مبانيهـــا و وحشـــية ســـكانها المســـلحين خوفـــا مـــن الآخـــرين ممـــا يجعلهـــم فـــي وضـــع الإســـتعداد و الـــدفاع عـــن الـــنفس و عـــاداتهم و تقاليـــــدهم المتحجـــــرة و طبـــــاعهم المتوحشـــــة و المنغلقـــة و الإنطوائيـــة التـــي لا تتســـم بقـــدر عـــال مـــن المرونـــة و الإعتـــدال مـــا عـــدا إنتمـــائهم الطـــائفي للشـــوافع و لهجـــتهم المغـــايرة و المنتميـــة لفئـــة اللاغلغـــة[٤] جـــراء قـــربهم الشـــديد مـــن الضـــفة الجنوبيـــة مـــن الـــوطن و لا ســـيما عـــدوهم التقليـــدي اللـــدود لمـــدينتهم محافظـــة الضـــالع و إكتـــوائهم بنارهـــا المشـــتعلة خيـــرا كـــان أم شـــرا منـــذ الحـــرب البريطانيـــة – اليمنيـــة عـــام ١٩٢٤م حيـــث كانـــت مســـرحا لإقتحامـــات جـــيش الإمبراطوريـــة التـــي لا تغيـــب عنهـــا الشـــمس البريـــة و الجويـــة و غـــارات طائراتهـــا الوحشـــية

[٤] مصطلح عنصري مناطقي زيدي يطلق على سكان محافظات تعز و اب و ريمة و الحديدة و المحافظات الجنوبية (المؤلف) .

التي لم تكف عن عدوانها المستمر عليهم حتى بعد إنتهاء الحرب و تخلي إمامهم المبجل عن النواحي التسع بموجب الإتفاقية المبرمة بينه و بين البريطانيين إلى الأبد .

على العكس منه تماما ، لم يشاطره نجله إبراهيم إطلاقا شعوره العنصري المتشائم للمكان الجديد ، بل أحب مسقط رأسه حبا جما منذ نعومة أظافره و إنغمس في بيئته الجديدة عليه إنغماسا تاما منقطع النظير شمل كل صغيرة و كبيرة بإيجابياتها و سلبياتها و لو على حساب وطنه الأصلي و عادات و تقاليد عائلته العريقة التي ورثها عن أبيه إلى حد ما و قربته من الشوافع أكثر من ذي قبل و جعلته يميل إلى الإعتدال في مواقفه المذهبية المتوارثة نحوهم ، فاختلط بنظرائه من اطفال الحي ذكورا و إناثا و شاركهم أفراحهم و أتراحهم و لهوهم و سرورهم و مشاكساتهم و شغبهم الصبياني ، و

عندما بلغ أشده أقام شبكة علاقات قوية مع العديد من سكانها صغيرهم و كبيرهم على حد سواء حيث كان يتمتع بأسلوبه الكاريزمي المؤدب الساحر في الكلام و مخاطبة الآخرين و يدخل قلوبهم المتحجرة بسهولة نادرة و يذيب ما علق فيها من أحقاد و حزازات و أمراض نفسية غامضة عفا عليها الزمن و توارثوها رغما عنهم جيلا بعد جيل ، فضلا عن تأثره الحاد بعاداتهم و تقاليدهم و فنونهم الشعبية و لا سيما في أعراسهم الحماسية و مآتمهم الغرائبية التي لا تختلف أبدا عن نظيراتها في الضالع و غيرها من المحافظات الجنوبية حيث تعرفت على بعض منها من خلال زيارتنا العائلية القصيرة الآجل عام ١٩٩٦م لإبن خالي وجيه غافر و الأمين الشرعي[٥] لمدينة قعطبة منذ أواخر ستينيات القرن العشرين فاضل عندما حضرنا عرس نجله الصغير

[٥] مسجل عقود الزواج و الاملاك العقارية و الشئون القانونية و القاضي الشرعي داخل القرى و الاحياء الشعبية في اليمن (المؤلف) .

منصـــور آنـــذاك و التـــي بـــدأت بجلســـة إجتماعيـــة تســـبق الزفـــاف بأســـبوع تعـــرف بيـــوم الحنـــا حيـــث تجتمـــع نســـاء الحـــي ببيـــت العـــروس و يشـــاركن أمهـــا فـــي تـــزيين ذراعـــي إبنتهـــا و قـــدميها بنقـــوش زخرفـــة غايـــة فـــي الجمـــال مـــن الحنـــاء تحـــت وقـــع أنغـــام أغـــاني الأعـــراس الشـــعبية الســـائدة فـــي المحافظـــات الجنوبيـــة و لا ســـيما الأغـــاني اللحجيـــة و أبرزهـــا أغنيـــة (و عـــالم حنـــا) ، و الأمـــر ذاتـــه يحـــدث فـــي بيـــت العـــريس مـــع بعـــض الإختلافـــات الطفيفـــة المتمثلـــة بتقـــديم المهنئـــين تبرعـــات ماليـــة إليـــه ، و فـــي صـــباح اليـــوم التـــالي يقـــوم أهلـــه و أقربائـــه و جيرانـــه بزفـــه فـــي أرجـــاء الحـــي و المدينـــة كافـــة زفافـــه الأول تحـــت وقـــع الزوامـــل الشـــعبية الســـائدة فـــي قعطبـــة و رقصـــات برعـــة الحلقـــة [٦] و لعبـــة الشـــال الراقصـــة [٧] ، و بعـــد ذلـــك يقـــام علـــى شـــرفه غـــداء جماعيـــا فـــي الســـاعة

[٦] هـي رقصـات شـعبية فـي قعطبـة مثـل نظيرتهـا الضـالعية و اليافعيـة و تتمثـل بتشـكيل الراقصـين حلقـة دائريـة يرقصـون خلالهـا البـرع على هيئة قطع الدومينو المتساقطة في خط مستقيم متناسق قل نظيره (المؤلف) .

[٧] هـي لعبـة شـعبية مشـهورة فـي قعطبـة يمارسـها راقصـو البـرع هنـاك و تتمثـل فـي قيـام مبـاراة بـين راقصـين يسـعى احـدهما الـى نـزع الشال الابيض من فم الاخر تحت وقع ايقاعات طبول البرع الشعبية (المؤلف) .

العاشـــرة ظهـــرا كمـــا جـــرت العـــادة داخـــل بيـــت العـــروس علـــى حســـاب عائلتـــه فحســـب ! و أخيـــرا يـــزف إلـــى عروســـه فـــي زفـــة راقصـــة لـــيلا مرتـــديا زي ســـلاطين يـــافع و لحـــج و الضـــالع يســـتأجرها مـــن قبـــل شـــخص مخـــتص فيـــه هـــو الوحيـــد مـــن نوعـــه فـــي قعطبـــة و ضـــواحيها يتـــوارث مهنـــة إيجـــار ثيـــاب الأعـــراس جـــيلا بعـــد جيـــل كما هو متعارف عليه .

لـــم تختلـــف عـــادات أهـــل المدينـــة فـــي المـــآتم عـــن نظيراتهـــا فـــي الأعـــراس و الليـــالي المـــلاح كثيـــرا ســـوى فـــي خلوهـــا مـــن الـــرقص و الغنـــاء و الإكثـــار مـــن الأناشـــيد الدينيـــة ذات الطـــابع الصـــوفي الســـائد لـــدى ســـكان المحافظـــات الجنوبيـــة و مـــن بينهـــا أنشـــودة زيـــن العابـــدين علـــي بـــن الحســـين (لـــيس الغريـــب) الذائعـــة الصـــيت بـــدلا مـــن تـــلاوة القـــرآن الكـــريم طـــوال فتـــرة العـــزاء القصـــيرة الآجـــل لمـــدة ثلاثـــة أيـــام متواصـــلة كمـــا

حـــدث خـــلال عـــزاء إبـــن خـــالي وجيـــه الـــذي وافـــاه الأجل بعد بلوغه سن الثمانين من عمره .

مـا الـذي يـدفع إبـراهيم إلـى مخالفـة والـده فـي تمسـكه العميـق بهـذه المنـاطق الغريبـة عنـه ؟ أهـي والدتـه التـي غرسـت فـي عقلـه حبـه الشـديد لهـا ردا علـى زوجهـا الـذي قـذف بهـا و جنينهـا الـذي فـي بطنهـا بمفـرده فـي قعـر هـذه المنطقـة النائيـة الجـرداء بعيـدا عـن مـوطنهم الأصـلي أرضـاء لزوجتـه الأولـى كمـا فعـل سـيدنا إبـراهيم عليـه السـلام مـع زوجتـه هـاجر و إبنـه إسـماعيل عليهمـا السـلام ؟ أم طبـائع النـاس المتسـامحة مـع بعضـهم الـبعض و غيـرهم مـن الغربـاء إلـى حـد مـا هنـاك المغـايرة تمامـا للـنهج المنغلـق الجبـان إلـى حـد الحـذر و التـوحش الإسـرائيلي المفتعـل السـائد فـي منـاطق الجبـال العاليـة الزيديـة المـذهب مـن أي شـيء غريـب عـن محـيطهم الإجتمـاعي و بيئـتهم المنعزلـة و إزالتـه مـن الوجـود

لأتفه الأسباب و لو كان حملا وديعا أو عصفورا جميلا أو باقة من الزهور الفواحة ؟

بغض النظر عن الدافع الحقيقي لتصرفاته السالفة الذكر فإنه كان مخلصا وفيا لوالده أكثر من إخوته الكبار و لم يتخل عنه في أحلك الظروف و السراء و الضراء حتى و لو كان على حساب مستقبله المهني و العلمي حيث ترك كلية الطيران بصنعاء عام ١٩٦١م في التو و اللحظة و هو على مشارف التخرج منها ليس نابعا عن فشله الذريع في دراسته هناك كما يزعم معارضيه المغرضين (و هو المعروف لديهم بنبوغه المبكر منذ نعومة أظافره) بل إستجابة لنداء والده المريض حينذاك بحل مكانه في عمله كقاض شرعي في قعطبة أو في ماوية[٨] إلى أجل مسمى ، فضلا عن مرافقته الدائمة في أسفاره المتكررة خارج البلاد بغرض العلاج أو الإستجمام

[٨] مديرية من مديريات محافظة تعز (المؤلف) .

أو العمل بمفردهما ما أكسبه و تحت أنظار والده المتزمت نوعا ما خبرة واسعة في التعامل مع الآخر الغريب عنه و لا سيما الاوروبي منه و إكتساب ثقافاته و لغاته و جوانبه الإيجابية من حضارته الحديثة و إحتكاكه الدائم مع الجنس الناعم أكثر مما صنعه مع نظرائهن في مسقط رأسه منذ نعومة أظافره حتى سن المراهقة كما فعل في باريس بعد تعلمه اللغتين الفرنسية و الإنجليزية في إحدى رحلاته الصيفية إلى هناك قبل الثورة بعامين بسرعة البرق المعهودة لدى عقله الموهوب منذ الصغر .

لكن بره المبالغ فيه لوالده الهرم جنى عليه بمشاكل و كوارث جسيمة لم تكن في الحسبان و أوقعته في معمعة صراع سياسي داخلي هو في غنى عنها لا ناقة له فيها و لا جمل و كادت أن تودي بحياته في عمر الزهور عندما جعلته محسوبا على النظام الإمامي البائد عبر جيش هائل من الإشاعات

المغرضة التي ساقها معارضوه الحاسدين له سرعان ما تحولت إلى إتهامات دامغة ملفقة من قبل ثوار ٢٦ سبتمبر الخالدة و أحكاما جاهزة بالإدانة من قبلهم ليساق على إثرها قربانا بريئا براءة الذئب من دم يعقوب إلى منصة الإعدام عام ١٩٦٣م قبل أن ينقذه أحد زملائه السابقين في كلية الطيران من رصاص جلاديه في اللحظة الأخيرة و يبرئ ساحته لدى رئيس الجمهورية عبدالله السلال من ذنب عظيم لم يرتكبه قط رغم أن هذه الواقعة الموجعة لقلبه لم تمح من ذاكرته الفيلية[٩] قيد أنملة ، سيما و أنها شكلت نقطة تحول فاصلة في حياته الهادئة و المستقرة نوعا ما و جعلته ينظر إلى الأمور نظرة عميقة مغايرة لنظرته السطحية الساذجة أكثر من ذي قبل (و هي نفس ما حدث لي لاحقا منذ إلتحاقي بالمرحلة الإعدادية حتى وقتنا الحاضر و

[٩] نسبة إلى الفيل لأن ذاكرته قوية و قادرة على الإستيعاب و تطلق على الشخص الذي لديه ذاكرة قوية (المؤلف) .

إن كان واجهها بشكل أفضل مني إلى حد ما) عندما حولته أربع و عشرون درجة من شخص طيب نقي القلب و السريرة مفعم بالعواطف الجياشة و البراءة الناصعة البياض في تعامله مع الآخرين إلى حد التبعية لمن يحب و يكن له المودة و الإحترام العميقين دونما إعتراض إلى نظيره المستوحش المتحفظ الجاد في حذره الشديد عند التعامل مع غيره من البشر أخيارا كانوا أم أشرارا من الذكور و الإناث على حد سواء المستقل بذاته و آرائه الخاصة و قراراته المصيرية في شئون حياته اليومية دون أن ينقاد بتاتا إنقيادا أعمى لأقرب الناس إليه ..... و غيرها من الامور الحاسمة التي كشفت له العديد من خبايا و خفايا مجتمعه المتوحش الجبان الغدار الغامض المنغلق على ذاته السقيمة و من بينها المحسوبية او الوساطة او حق ابن هادي[١٠]

[١٠] هو مصطلح شعبي يمني يطلق على الرشوة التي يتلقاها الموظف الحكومي المرتشي من اصحاب المعاملات و المصالح لتسهيل اعمالهم و مصالحهم بشكل قانوني و استنبط من حاجب قصر الامام يحيى حميد الدين (١٩١٨-١٩٤٨م) ابن

حسب التسمية المحلية لها بكافة الوانها الملتوية سلبا كانت ام ايجابا بعرف الانسان اليمني في حل مشكلاته اليومية و ازماته المصيرية المستعصية منها ام التافهة التي معظمها مفتعل من قبل عقله الهمجي الفوضوي الذي لا يعجبه العجب او الصيام في رجب الا بالقوة و لو على حساب وطنه و دينه و دولته و اخلاقه و عاداته و تقاليده و مبادئه الحسنة و العفنة ارضاء لمن يخدم مصالحه الشخصية و يتبادل معه المنفعة المادية على طبق من ذهب بسرعة البرق و لو كان الشيطان بجلالة قدره رغم نفاقه الدائم باسم الاسلام و رسولنا الكريم (ص) و الايمان بالله عز و جل جهارا الى حد الغثيان الذي لا يطاق ، و لا سيما انها صارت على يديه بيضة القبان الذهبية لرغباته و اطماعه المزاجية الطفولية التي لا تنضب المبرر الشرعي للفساد المالي و

هادي الذي كان يسمح للزوار اليمنيين و الاجانب بالدخول اليه مقابل رشوة مالية متفق عليها كي يسمح له بمقابلته (المؤلف) .

الاداري و الاخلاقي لتحقيق غاياته الدنيئة في نفسه اليعقوبية على مر العصور حيث لم ينس تأثيرها السحري الخارق خلال ذلك اليوم الضبابي المشئوم لحظة إقتياده عبر ثلة من ضباط الجيش له من مقر عمله بماوية و أمام أصحاب القضايا المراجعين و المتعاكظين حوله الذين لم يحركوا ساكنا نحوه و لو بشق تمرة إلى صنعاء على متن شاحنة عسكرية روسية قاتمة من مخلفات العهد الإمامي البائد في خمسينات القرن العشرين محملة بغيره من المعتقلين أمثاله بالطريقة التعسفية الفجائية ذاتها بعدما تلوا عليهم بسرعة البرق نفس التهم الصادرة بحقهم من وزارة الداخلية المنشأة حديثا في التو و اللحظة ألا و هي الخيانة العظمى للثورة و النظام الجمهوري لصالح الإمام البدر و أعوانه الملكيين !

عن أية خيانة عظمى يتحدثون زورا و بهتانا عن إرتكابها له و هم يعلمون علم اليقين أنه مجرد

موظف مغمور في سلك القضاء الشرعي لا ناقة له و لا جمل في ألاعيب السياسة المحلية أو الصراع على السلطة في بلاده لا من قريب أو من بعيد ؟! أم الأمر له علاقة بإكتسابه منصبه القضائي بالوراثة لا بكفاءته العلمية ؟!! سيما و أنه خلف والده على هذا المنصب الحساس بعد وفاته كما هي عادة القضاة في الشطر الشمالي من الوطن و لا سيما المنتمين لطبقتي السادة الهاشميين و القضاة في توريث و احتكار المناصب القضائية لاولادهم و احفادهم على الطريقة الفرنسية القديمة[11] حتى يومنا إلغائها و تجريمها بشكل قانوني من قبل الثوار السبتمبريين عبر وضعهم العديد من القوانين العدلية المنظمة للسلطة القضائية و انشاء المعاهد و الكليات الاكاديمية لتخريج القضاة و المحامين في النصف الثاني من سبعينات القرن العشرين قبل

[11] كان القضاة الفرنسيين يقومون بتوريث مناصبهم القضائية و العدلية لأولادهم و احفادهم جيل بعد جيل منذ العصور الوسطى (٤٧٦-١٤٥٣م) حتى إلغائها و تجريمها بشكل قانوني بعد اندلاع ثورة الباستيل عام ١٧٨٩م (المؤلف) .

عودتها الى الحياة مجددا من رماد القبور تحت ظلال وحدتنا المباركة و التي لا ترقى وفقا للقوانين الجنائية المتعارف عليها في ارجاء المعمورة الى مرتبة الخيانة العظمى و لا يستحق مرتكبها عقوبة الاعدام اصلا ؟! ثم ان هناك العديد من المحسوبين على النظام الامامي الذين يستحقون الاعدام على خيانتهم العظمى للوطن و الثورة عبر جرائمهم النكراء التي يندى لها الجبين بحق ابنائها و اخوانهم المظلومين ارضاء للإمام و حاشيته الفاسدة قبل ان يمحو الثوار صحيفتهم السوداء من السوابق بعد انضمامهم المتملق لثورتهم الخالدة و تقديم فروض الولاء و السمع و الطاعة لهم كما فعل اول رئيس للجمهورية عبدالله السلال و مشائخ قبائل عمران (و لا سيما جناحي الامامة كما وصفهم الامام يحيى قبل قمعهم بوحشية في عقد العشرينات قبائل حاشد و بكيل) و على راسهم

عشيرة الاحمر و ابو لحوم و ابو شوارب و الشائف ..... الخ .

و غيرها من الاسئلة العائمة في عقله الطفولي الحائر بأمواج شكوكها الهائجة و متاهاتها المعقدة العميقة حتى عند مثوله امام محكمة الشعب العامة و رئيسها المتطرف بأحكامه القراقوشية الطراز غالب الشرعي[١٢] اسوة بنظرائه الشائرين جمال سالم[١٣] في مصر و المهدوي[١٤] في العراق و المحيشي[١٥] في ليبيا و الرئيسي[١٦] في ايران المهووسين بتطبيقهم الحرفي لنظرية الطهر الثوري ضد المتآمرين و لو كانوا اقرب الناس اليهم من حبل الوريد عبر استئصال شافتهم الفاسدة من

[١٢] احد ضباط ثورة ٢٦ سبتمبر المتطرفين و مؤسس محكمة الشعب العامة في صنعاء عام ١٩٦٢م بامر من رئيس الجمهورية عبدالله السلال (١٩٦٢-١٩٦٧م) (المؤلف) .

[١٣] احد ضباط ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢م و مؤسس محكمة الشعب في القاهرة عام ١٩٥٤م بامر من رئيس الجمهورية جمال عبدالناصر (١٩٥٤-١٩٧٠م) (المؤلف) .

[١٤] احد ضباط ثورة ١٤ يوليو و مؤسس محكمة الشعب العليا في بغداد عام ١٩٥٨م بامر من رئيس الوزراء عبدالكريم قاسم (١٩٥٨-١٩٦٣م) (المؤلف) .

[١٥] احد ضباط ثورة الاول من سبتمبر عام ١٩٦٩م و مؤسس محكمة الشعب الكبرى في طرابلس الغرب عام ١٩٧١م بامر من رئيس الجمهورية معمر القذافي (١٩٦٩-٢٠١١م) (المؤلف) .

[١٦] رئيس ايران الحالي و احد اعوان النظام الخميني في هذا البلد الخليجي الكبير منذ عام ١٩٧٩م و مؤسس محكمة الشعب الثورية في طهران عام ١٩٨٠م بامر من مرشد الثورة و الامبراطور الجمهوري اية الله الخميني (١٩٧٩-١٩٨٩م) (المؤلف) .

الوجـــود حســـب زعمهـــم عبـــر اصـــدار احكامـــا صـــورية باعـــدامهم الوحشـــي لهـــم دون عقـــد او ابـــرام او تـــوافر الحـــد الادنـــى مـــن ضـــمانات المحاكمـــة العادلـــة فيهـــا ..... و غيرهـــا مـــن الامـــور القانونيـــة القضـــائية الحديثـــة التـــي لـــم يســـمع بهـــا قـــط او يراهـــا راي العـــين خـــلال عملـــه القضـــائي فـــي العهـــد البائـــد الا اثنـــاء زيارتـــه العلاجيـــة الـــى فرنســـا و بريطانيـــا فحســـب ، ســـيما و انهـــا مـــن ابتكـــارات الغـــربيين الثوريـــة فـــي المجـــال القضـــائي خـــلال العصـــور الحديثـــة و بالتحديـــد اثـــر قيـــام الثـــورة الفرنســـية عـــام ١٧٨٩م و لـــم تتبناهـــا بـــلاده الا بعـــد قيـــام ثورتنـــا المباركـــة مباشـــرة علـــى يـــد لفيـــف مـــن خبـــراء القـــانون و القضـــاء المصـــريين و الســـوريين و الروس دون قيد او شرط !

وضـــعوه فـــي ســـجن الـــرادع مباشـــرة بعـــد اصـــدار حكـــم الاعـــدام علـــى الفـــور خـــلال جلســـة واحـــدة لـــم تســـتغرق ســـوى بضـــع ثـــوان معـــدودات لينـــال بـــين اقبيتـــه الغارقـــة

في الظلام و زنازينه الموحشة نصيبه الوافر من التعذيب الوحشي الذي يندى له الجبين و يمارسه جلاديه على اجساد سجنائه الذكور و الاناث على حد سواء دون رحمة او شفقة داخل اروقته الرمادية الحالكة السواد منذ ان ابصر النور على يد بانيه الامام يحيى عام ١٩٢٩م قبل ان يقوم ابو نشوان[١٧] بإهالة التراب عليه الى الابد و يحوله الى مقر لوزارة الشئون الاجتماعية بعد عام من توليه الحكم كيلا يتذكر اعوامه المريرة مرارة العلقم التي قضاها بين جوانحه الباردة .

ما ان ازفت الازفة و حان موعد تنفيذ الحكم حتى تقدم موكب رفاقه في السجن المكبلين بالأغلال الحيوانية على الطريقة الامامية[١٨] ضمن القافلة العاشرة ينتظرون دورهم في الرحيل عن هذه الدنيا

[١٧] كنية رئيس الجمهورية ابراهيم الحمدي (المؤلف) .

[١٨] كان عسكر الامام يقيدون ايدي و ارجل السجين بأغلال معدنية صلبة صدئة رديئة الصنع يظل مكبلا بها حتى بعد الافراج عنه (المؤلف) .

التي لم يتمتعوا بها حق التمتع و الاستمتاع على يد جلاديهم الجدد بفارغ الصبر كي يستريحوا من الرعب و القلق المستبد بعقولهم قبل ابدانهم دون توقف و دون ان يظهر على محياهم البتة و هم يتاملون من سبقوهم يتساقطون امامهم تساقط اوراق الخريف الشاحبة اللون رميا بالرصاص مضرجين بدمائهم الزكية غير ماسوف عليهم على تراب ساحة الرادع انذاك قبل تحويلها فيما بعد الى موقف لسيارات الاجرة الميكروباص لنقل الركاب من و الى التحرير .

و كان من بين الذين اعدموا انا ابرياء براءة الذئب من دم يعقوب ذكورا و اناثا لا ناقة لهم و لا جمل تم اعدامهم دون محاكمة و دون تهم دامغة تدينهم لمجرد انهم مروا دون قصد من امام بابها العالي او ساحة اعدامها الملطخة بالدماء على حد تعبير واحد من قضاتها الغريبي الاطوار هادي عيسى

(قد اسمه جا)[١٩] حيث كان من ضحاياهم المثل الاعلى لابي نشوان في تجربة الديمقراطية التعاونية و حركة التعاونيات الاهلية و مفتى المذهب الحنفي النادر الوجود في بلادنا لقلة اتباعه الذين يعدون بالأصابع الفقية و المؤرخ الفاضل محمد عبدالله عاموه حيث اسس اول حركة تعاونية في مسقط راسه الحديدة خاصة و البلاد عامة قبل قيام ثورتنا الخالدة باربعة اعوام دون ان تؤدي غرضها المنشود لعدم استجابة الناس انذاك لها و تحمسهم لفكرتها النبيلة خوفا من الامام و اتباعه من القوى الرجعية التي رات و مازالت ترى فيها تهديدا خطيرا لهيمنتهم السلطوية عليهم و لم تشفع له لديهم و لا لدى قضاة المحكمة الحمقى و لا سيما و انهم استمدوا الهدف الرابع من اهداف ثورتهم الخالدة الداعي الى الديمقراطية التعاونية من مبادئه السامية

[١٩] بحق مجيئه الينا بملء ارادته بالعامية الصنعانية اليمنية (المؤلف) .

ليتركـوه تحـت رهـن اشـارة جلادهـم الارعـن الـذي نفـذ حكمهـم الجـائر بحقـه و اطـلاق رصاصـاته الهوجـاء على جسده الطاهر دون رحمة او شفقة .

و عنـدما حـان دوره المشـئوم فـي تسـليم جسـده الغـض قربانـا بائسـا لا حـول لـه و لا قـوة الا بـالله للجـلاد المسـرور بنصـيبه الـوافر مـن الغنـائم حتـى شـمر عـن سـاعديه الخشـنتين خشـونة الخشـب الميرانـدي[٢٠] مجـددا لتقييـده مـن الخلـف و رميـه عنـوة علـى بطنـه البدينـة فـوق سـاحة الاعـدام المغبـرة و يسـتل بندقيتـه الرشـاش الصـدئة بعـد تنظيفـه اربـع مـرات فـي اليـوم مـن غمـده الممـزق و يوجـه فوهتهـا الملطخـة بـدماء مـن سـبقوه علـى راسـه امـام حشـد مـن النـاس يحيطـون بهـم معظمهـم لا علاقـة لـه بالموضـوع اتـى للتفـرج فحسـب و التنـدر و الضـحك لا يرعـون حرمـة المكـان الـواقفين فيـه كمـا هـي عـادة اهـل بلادنـا المتوحشـين

[٢٠] نوع من الخشب المستورد المستخدم في صناعة ابواب و نوافذ المنازل الصنعانية القديمة لونه بني غامق (المؤلف) .

الغـــدارين الجبنـــاء الســـيئ الطبـــاع المتبلـــدي الاحاســـيس الـــــذين لا يفرقـــــون بمشـــــاعرهم الروبوتيـــــة الســـــخيفة المتوارثـــة عـــن ابـــائهم و اجـــدادهم بـــين جـــلال المـــوت و الفراق أو جمال الفرح و السرور .

و مـــا إن شـــرع بالضـــغط علـــى الزنـــاد حتـــى توقـــف فجـــأة بعـــــد ســـــماعه قائـــــده الامـــــر و النـــــاهي عبـــــر صـــــوته الجهـــــوري المخيـــــف للحمـــــام المتنـــــاثر حـــــولهم قبـــــل البشـــــر بإلغـــــاء الحكـــــم علـــــى الفـــــور دونمـــــا اعتـــــراض ، فلقـــد تـــدخل مـــن هـــو اعلـــى مـــنهم رتبـــة و مكانـــة فـــي الجـــيش النظـــامي و احـــد اعضـــاء مجلـــس قيـــادة الثـــورة يحيـــى المتوكـــل لإخـــلاء ســـبيله حـــاملا معـــه دليـــل براءتـــه الناصـــعة البيـــاض مـــن التهمـــة الملفقـــة اليـــه (و التـــي لا اســـاس لهـــا مـــن الوجـــود ان لـــم نقـــل الصـــحة اصـــلا !) لـــيس حبـــا فـــي زيـــد بـــل كراهيـــة فـــي عمـــر حيـــث أن كلاهمـــا لـــم يكونـــا رفـــاق دفعـــة واحـــدة حتـــى تنشـــأ بينهمـــا صـــداقة حميمـــة للغايـــة لا يقضـــي علـــى بنيانهـــا

المرصوص سوى الموت الزؤام دون ان يمنع ابا نشوان من رد الجميل له عندما طلب بصفته قائدا للجيش و عضوا في المجلس الجمهوري من السلطات المصرية حمايته و زملائه في سفارة بلادنا من اعتداءات طلابنا الدارسين المحتجين على تمديد اتفاقية الطائف الحدودية بين اليمن الشمالي و السعودية باستخدام الاسلحة النارية و الذخيرة الحية ضدهم عام ١٩٧٤م ، لكن كره يحيى الشديد لهيئة المحكمة المتطرفين في ثوريتهم العمياء و على رأسهم نائب رئيسها هادي عيسى لأسباب واهية كون الأخير من طبقة الرعية و هي من وجهة نظره طبقة إجتماعية محتقرة وفقا للسلم الطبقي العنصري داخل الطائفة الزيدية و لا يحق له محاكمة و اعدام من هم اعلى مكانة و رتبة اجتماعية منه كالسادة الهاشميين و القضاة و شيوخ القبائل و العقال و بأمر من رئيسها الهاشمي النسب

غالب الشرعي تحت مبرر الدفاع عن ثورتنا السبتمبرية الخالدة ضد اعدائها المتآمرين في الداخل و الخارج حتى و لو كانوا من علية القوم و اشرافها العظام ! لذا استعان برئيس الجمهورية المحتقر اجتماعيا (كون والده الراحل يعمل فحاما في سوق الملح) السلال لإنقاذ رقبة ابي نشوان من حد سيفهم الملطخ بالدماء و ايقافهم عند حدهم اذا لزم الامر ليتم له ما اراد في نهاية المطاف .

القنديل الثاني

الخدمة العسكرية

قمت بزيارة مكوكية مرتجلة هي الاولى من نوعها لكلية الطيران الكائنة على امتداد شارع المطار الشهير بحوادثه المرورية المفتعلة التي لا تنضب رغم تشديد شرطة المرور قبضتهم الامنية على سائقيها الطائشين المتهورين و وضعهم في السجون دون ان يخافوا في الحق لومة لائم و لا سيما عندما تمر المواكب الرئاسية او الحكومية او مواكب الوفود الاجنبية من مطار الرحبة[٢١] الدولي الى وجهتها الاساسية في العاصمة تحت حراسة مشددة من عناصر الامن المركزي و الحرس الجمهوري تحميهم من اية محاولة اعتداء او اغتيال اثمة تصدر من احد ضعاف النفوس المنتشرين بين حشود الجماهير الغفيرة المحيطة بهم بعدما اجبرت على

[٢١] الاسم القديم لمطار صنعاء الدولي نسبة الى المكان التي اقيم فيها المطار منطقة الرحبة المجاورة لمنطقة ارحب بمحافظة صنعاء (المؤلف) .

الحضـــور مـــن قبـــل اجهـــزة المخـــابرات العامـــة و العســـكرية للترحيـــب بهـــم رغمـــا عـــنهم تحـــت اشـــعة الشـــمس الحارقـــة التـــي لا تـــرحم و وطـــأة الجـــوع و العطـــش ، و عنـــدما المولـــد يـــنفض علـــى حـــد تعبيـــر اخواننـــا المصـــريين و يصـــلون الـــى مكـــانهم المحـــدد يـــتم اعـــادتهم الـــى منـــازلهم بســـرعة البـــرق و دون مقابـــل او اعتراض و كان شيئا لم يكن !

و مـــا إن وصـــلت اليهـــا وجـــدتها ملتصـــقة تمامـــا بمطـــار الرحبـــة (كـــان مطـــارا حربيـــا ترابيـــا فـــي يـــوم مـــن الايـــام و تحديـــدا خـــلال عـــام ١٩٥٩م) حيـــث تقـــع مطارهـــا الحربـــي المعـــروف بقاعـــدة الـــديلمي[٢٢] الجويـــة المكـــتظ بأســـراب هائلـــة مـــن الطـــائرات و الحوامـــات و الهيلوكـــوبترات الحربيـــة الحديثـــة الفائقـــة الدقـــة فـــي التصـــويب و الاغـــارة علـــى المواقـــع المســـتهدفة و المنتجـــة فـــي افضـــل المصـــانع العســـكرية بروســـيا و

[٢٢] ســميت بهــذا الاســم نســبة لاحــد مؤسســي ســلاح الطيــران فــي الــيمن الشــمالي علــي الــديلمي الــذي استشــهد خــلال ملحمــة السبعين (١٩٦٧-١٩٦٨م) تكريما له (المؤلف) .

مصـــر و الصـــين و امريكـــا و فرنســـا الجـــاهزة للإقـــلاع و تلبيـــة نـــداء الواجـــب فـــي التـــو و اللحظـــة خلـــف اســـواره الاســـمنتية الباهتـــة اللـــون يقودهـــا زمـــرة مـــن اكفـــا الطيـــارين المحليـــين المتخـــرجين منهـــا و نظيراتهـــا فـــي مصـــر و الجزائـــر و روســـيا و الصـــين و تشيكوســـلوفاكيا منـــذ عـــام ١٩٦٤م حتـــى وقتنـــا الحاضـــر و إن كـــانوا يمارســـون وظيفـــتهم المرموقـــة هـــذه الايـــام ينحصـــر معظمهـــا فـــي نشـــاطات عاديـــة لا ترقـــى الـــى مســـتوى طموحـــاتهم و تحـــط مـــن مكـــانتهم العســـكرية و كفـــاءتهم القتاليـــة فـــي حمايـــة ســـماء الـــوطن و اجوائهـــا المفتوحـــة ضـــد اعدائـــه الـــداخليين و الخـــارجيين كـــالتحليق البهلـــواني و الـــدوري فـــي الهـــواء الطلـــق منـــذ الصـــباح البـــاكر لتفقـــد صـــلاحية طـــائراتهم الحربيـــة للمهمـــات القتاليـــة او الإســـعافية لضـــحايا الكـــوارث الطبيعيـــة مـــن زلازل و فيضـــانات ..... الـــخ ، لتعـــود حكومتنـــا الرشـــيدة بعـــد الوحـــدة المباركـــة الـــى عـــادة

اسلافها الاماميين القديمة في افراغ قواتنا المسلحة برا و بحرا و جوا من مضمونها السامي و الحقيقي و يضحى ضجيج سيف الوطن المزعج في الليل و النهار رغم تجميد خدمتها العسكرية امرا عاديا في حياتنا اليومية الغريبة الاطوار المتقلبة دون ان نضيق ذرعا منها و يسكت قادتها الطيارين العظام عن الكلام المباح بملء إرادتهم بلا قيد او شرط !

لم تكن الكلية على هذا الحال عندما قدم ابو نشوان من قعطبة اليها سعيا وراء الالتحاق بها ضمن اول زمرة من المنضوين تحت راية لوائها العسكري الجوي منذ افتتاحها بشهرين من قبل الامام احمد و مبعوث الرئيس المصري جمال عبدالناصر على اثر انضمام الاول الى الوحدة الثلاثية مع مصر و سوريا عام ١٩٥٩م دون ان يعرف احد السبب بمن فيهم امامنا المعظم بشحمه و لحمه اصلا !

أقيمت الكلية على أرض جرداء بساحة ترابية قاحلة نوعا ما محاطة باسوار حجرية نارية اللون على غرار نظيرتها الحربية الاقدم منها قدم مؤسسيها الاتراك العثمانيين مطلع القرن المنصرم[٢٣] و المقامة اقصى ضواحي الروضة الشاسعة المجاورة لنفق السائلة الثعباني الجاف ، مازاد الطين بلة خلوها الشديد إلا ما ندر من الطائرات الحربية و الحوامات و الهيلوكوبترات العتيقة من طرازي داكوتا[٢٤] و انتينوف[٢٥] و عدم استخدام ما تبقى منها و لو على سبيل الإعارة أو التدريب تاركين خبرائها و مدربيها المصريين فريسة سهلة للفراغ القاتل السائدة في هذه البلاد الميتة أرضا و شعبا إلى حد الجنون لينقذوا أرواحهم الحائرة من سمومها البطيئة بلعب البطة[٢٦] و الكيرم[٢٧] و تبادل الاحاديث السمجة

[٢٣] يقصد به القرن العشرين حيث تعد الكلية الحربية في صنعاء التي تأسست على يد الوالي العثماني احمد فيضي باشا عام ١٩٠٥م اقدم كلية عسكرية في شبه الجزيرة العربية (المؤلف) .

[٢٤] شركة امريكية لصناعة الطائرات و لا سيما الحربية منها منذ عشرينات القرن العشرين (المؤلف) .

[٢٥] شركة روسية لصناعة الطائرات منذ ثلاثينات القرن العشرين (المؤلف) .

[٢٦] تعني لعبة الورق أو البوكر أو الكوتشينة باللهجة الصنعانية (المؤلف) .

[٢٧] لعبة شعبية سائدة في الهند و باكستان و بنغلاديش و سيريلانكا (المؤلف) .

المملـــة التـــي لا طائـــل منهـــا مـــع نظـــرائهم اليمنيـــين رغـــم اســـتعانتهم بهـــم كمخبـــرين ســـريين ينقلـــون لهـــم اخـــر الاخبـــار عـــن الإمـــام و أعوانـــه مقابـــل مبلغـــا مـــن المـــال (كمـــاهي عـــادتهم منـــذ اقـــدم العصـــور) كـــي يرســـلوها بـــدورهم علـــى هيئـــة تقـــارير دوريـــة إلـــى قيـــادتهم الحربيـــة العليا في القاهرة !

فعلامـــا كـــان طلابهـــا يتـــدربون إذن ؟! علـــى الإنـــزال المظلـــي بكافـــة أنواعـــه أو قيـــادة مـــا تكـــرم بـــه إمامنـــا المعظـــم علينـــا مـــن طـــائرات ركـــاب ملكيـــة مدنيـــة مـــن طـــراز داكوتـــا الموروثـــة مـــن والـــده و ســـلفه الراحـــل مثلمـــا أورثـــه خوفـــه الأزلـــي علـــى عرشـــه الكهنـــوتي الاهـــون مـــن بيـــت العنكبـــوت و المضـــرج بـــدماء و جمـــاجم أبنـــاء وطـــنهم الابريـــاء و البســـطاء شـــكلا و الاشـــرار المتوحشـــين الجبنـــاء الغـــدارين المتعصـــبين مضـــمونا و المحمـــي بجيشـــه النظـــامي (؟) و لا ســـيما ســـلاح الطيـــران و البحريـــة و ضـــباطه الميـــامين المخلصـــين لـــه

و لسلالتهم الهاشمية الزيدية المقدسة من قبل الله و رسوله الكريم (ص) (؟!!) التي ما أنزل الله بها من سلطان .

بالمختصر المفيد ادرك ابو نشوان ان الدراسة في هذه الكلية الهامة بهذا الشكل مضيعة للوقت و الجهد ايضا ما دفعه الى تركها فورا مباشرة على وجه السرعة قبيل التخرج بشهور قلائل تحت ذريعة حل محل والده المريض في عمله القضائي كما اسلفنا من قبل تاركا زملائه اليائسين امثاله رغم انهم فضلوا مواصلة تبديد وقتهم الثمين بين جدرانها الترابية الصماء غير مكترثين للعواقب الوخيمة لما اقدموا عليه حيث لم تمخض عن جهودهم و مثابراتهم العابثة في الدراسة سوى فئران متوحشة تعيث في الارض فسادا .

و مع ذلك ، و بالرغم مما حدث له من احداث جسام واجهها داخل صنعاء كما اسلفنا الذكر إلا انه

فضل البقاء فيها متجاهلا اوامر والده الهرم و نواهيه بالعودة القصوى الى موطنه الاصلي بالمناطق الوسطى [٢٨] حيث مسقط راسه قعطبة و مقر عمله القضائي في ماوية قبل ان يستسلم الاخير على مضض لاصراره الجارف على مواصلة دراسته العليا بعدما وعده بالاقامة مع شقيقه الاكبر محمد في منزل العائلة بثلا ليولي على اثر ذلك وجهه هذه المرة شطر كلية الشرطة في مبناها الكائن وسط حشد غفير من الاحياء و المقابر العشوائية الضيقة على ضفاف السائلة الجافة الغير معبدة من مقبرة ماجل الدمة [٢٩] و حي الوحدة و نادي الضباط [٣٠] و نادي الشرطة و دائرة التقاعد العسكري و العرضي و ثانوية الكويت الواقعة باسرها بين فكي باب اليمن (بوابة المدينة القديمة التي مازالت على قيد الحياة

[٢٨] لفظ مناطقي عنصري يطلق على سكان المناطق الحدودية بين شطري اليمن و لا سيما سكان وادي بنا في محافظتي اب و ابين (المؤلف) .

[٢٩] كلمة يمنية قديمة تعني البحيرة الصناعية السوداء المحفورة في الصخر (المؤلف) .

[٣٠] تأسس في عهد رئيس الجمهورية عبدالله السلال (١٩٦٢-١٩٦٧م) عام ١٩٦٦م (المؤلف) .

بعـــدما فقـــدت اخواتهـــا[٣١] ارواحهـــن تحـــت جحافـــل التوســـع العمرانـــي و الغـــزو البشـــري للعاصـــمة مـــن كـــل حـــدب و صـــوب بعـــدما جثمـــوا علـــى جســـدها الاضـــيق مـــن عنـــق الزجاجـــة دون رحمـــة او شـــفقة تحـــت حمايـــة ثورتنـــا الخالـــدة و وحـــدتنا المباركـــة) و ميـــدان الســـبعين و شـــارع علـــي عبـــدالمغني لا يفصـــل بينهمـــا ســـوى شـــارع الزبيـــري (الحـــد الفاصـــل بـــين صـــنعاء مـــا قبـــل ثورتنـــا الخالـــدة و مـــا بعـــدها حتـــى وقتنـــا الحاضـــر) ليصـــبح مـــن اوائـــل الملتحقـــين بهـــا اثـــر افتتاحهـــا بعـــد ثورتنـــا الخالـــدة بشـــهرين متتـــاليين و مـــن اوائـــل المتخـــرجين منهـــا عـــن جـــدارة و اســـتحقاق عـــام ١٩٦٦م بعـــد ثلاثـــة ســـنوات كاملـــة قضـــاها رهـــين محبســـها الرصاصـــي بعـــدما وجـــد ضـــالته المنشـــودة فـــي التعلـــيم الحقيقـــي و الاعتمـــاد علـــى الـــنفس و الالتـــزام بلوائحهـــا الشـــديدة الصـــرامة و اتبـــاع مناهجهـــا و

[٣١] نقصد من خلال هذه العبارة باب شعوب و الصياح و الصباح التي هدمت اثر ملحمة السبعين (١٩٦٧-١٩٦٨م) (المؤلف) .

انظمتهـــا و قوانينهـــا العســـكرية المصـــرية الاصـــل الناصـــرية العقيـــدة و الهـــوى الســـائدة فـــي ارض الكنانـــة منـــذ خمســـينات القـــرن المنصـــرم بالتمـــام و الكمـــال و دونمـــا اعتـــراض او اعتبـــار لحســـبه و نســـبه الـــرفيعين بـــين جـــدرانها الاســـمنتية الصـــماء ، لـــم يتـــردد إثـــر تخرجـــه منهـــا مباشـــرة بالالتحـــاق بـــالجيش النظـــامي بـــدلا مـــن اجهـــزة الامـــن و الشـــرطة عـــن طريـــق مـــن يـــدين لـــه بـــالمعروف و رفيقـــه المجهـــول فـــي كليـــة الطيـــران يحيـــى المتوكـــل مـــدركا تمامـــا الاهميـــة العظمـــى للمحســـوبية فـــي مجتمـــع مختلـــف يقـــدس الجهـــل و الفســـاد بكافـــة اشـــكاله و الاســـاليب الملتويـــة فـــي جميـــع منـــاحي الحيـــاة ســـلبا كـــان ام ايجابـــا ، ســـيما و انـــه كـــان لـــه الفضـــل ايضـــا فـــي التعـــرف علـــى ثـــاني اهـــم شـــخص فـــي هـــرم النظـــام الجمهـــوري الســـبتمبري انـــذاك خلـــف الســـلال و احـــد مؤسســـي المؤسســـة العســـكرية الحديثـــة فـــي الشـــمال بعـــد الثـــورة رئـــيس هيئـــة الاركـــان و

رئـــيس الـــوزراء الفريـــق حســـن العمـــري ليكـــون ثمـــن معروفــه ذاك جــزاء ســنمار حيــث صــعد أبــو نشــوان الــى اعلـــى المراتـــب و المناصـــب فـــي الدولـــة بشـــقيها العســـكري و المـــدني علـــى اكتافـــه فـــي التـــو و اللحظـــة دون ان يحـــرك ســـاكنا او يعتـــرض و لـــو بكـــف الاشـــارة بعـــدما ادرك اخيـــرا هـــو و غيـــره مـــن ابنـــاء جلدتـــه مـــن الهاشـــميين الزيـــديين لـــم يعـــد بوســـعهم فـــرض هيمنـــتهم و جبـــروتهم علـــى مـــن حـــولهم[٣٢] الرافضـــين لتـــوليهم أي منصـــب رفيـــع عســـكري كـــان ام مـــدني فـــي الدولـــة الجديـــدة [٣٣] او تربـــع عـــرش رئاســـتها مجـــددا بـــاي حـــال مـــن الاحـــوال خوفـــا مـــن عـــودة النظـــام الامـــامي علـــى ايـــديهم مـــن جديـــد مهمـــا كـــان غيـــورين عليهـــا و ولاءهـــم المطلـــق لهـــا و دفـــاعهم المســـتميت عنهـــا بالغـــالي و النفيس .

[٣٢] الموالين للنظام الجمهوري و ثورة ٢٦ سبتمبر و لا سيما شيوخ القبائل الذين كانوا موالين للنظام الامامي من قبل (المؤلف) .

[٣٣] الجمهورية العربية اليمنية او اليمن الشمالي بعد ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م (المؤلف) .

القنديل الثالث

الحرب الأهلية

دشن أبو نشوان مشواره الماراثوني نحو السلطة الحاكمة بخطى حثيثة من خلال السلك العسكري و تحديدا قوات الإحتياط التي تعتبر العمود الفقري لأي جيش نظامي حديث في أرجاء المعمورة لتكون المناطق الوسطى و مسقط رأسه قعطبة أولى محطاته القتالية و نشاطاته الميدانية في ساحة الوغى أثناء دفاعه المستميت عن الثورة السبتمبرية و نظامها الجمهوري ضد أعدائها اللدودين من أنصار النظام الإمامي (الذين نسب إليهم زورا و بهتانا كما أسلفنا من قبل) خلال حرب ضروس تورط المعسكرين الشرقي و الغربي و حلفائهم الاقليميين في منطقة الشرق الأوسط من فوق و تحت الطاولة لإذكاء جذوتها المشتعلة منذ عام ١٩٦٢م .

رغم خوض غمارها الحامية الوطيس متأخرا و قلة خبرته العسكرية في المعارك الميدانية إلا أنها لقنته دروسا قاسية لم ينساها طيلة حياته حتى بعد توليه الحكم لاحقا بعدما عرفته بحقيقة بلاده المرة و وجهها القبيح حكومة و شعبا لدى القاصي و الداني في الداخل و الخارج على مر الزمان ، سيما و أنه إكتشف خلال إداء واجبه العسكري على الحدود الجنوبية لبلاده للذود عنها من هجمات المستعمر البريطاني برا و جوا و دعم الثوار الجنوبيين ضده في جبهة البيضاء إستيلاء أنصار النظام الإمامي أو القوات الملكية على مقرهم الرئيسي هناك بتواطؤ من ضباط في الجيش المصري و القوات الجمهورية بسرعة البرق قبل أن ينجح و زملاؤه في طردهم منها إلى غير رجعة رغم إصابته بجروح غائرة خلال المعركة الدائرة بين جبالها الجرداء .

لـــم تشـــغله هـــذه الجـــروح تفكيـــره و قضضـــن مضـــجعه خـــلال مكوثـــه فـــي المستشـــفى العســـكري بمدينـــة البيضـــاء مثلمـــا فعلـــت صـــدماته المغرقـــة لعقلـــه المرهـــف الحـــس فـــي بحـــر مـــن التســـاؤلات الحـــائرة جـــراء مـــا حـــدث ! كيـــف وصـــل هـــؤلاء مـــن آخـــر الـــدنيا فـــي شـــمال الـــوطن إلـــى أقصـــى جنوبـــه و هـــم لا يجـــرؤون علـــى إقتحامهـــا إنطلاقـــا مـــن معســـكراتهم فـــي الجانـــب الســـعودي مـــن الحـــدود خوفـــا مـــن مطـــاردة الجيشـــين المصـــري و الجمهـــوري[٣٤] لهـــم بعـــدما أجبـــروهم علـــى الفـــرار مـــن وطـــنهم و جبـــالهم الـــوعرة إثـــر إنتصـــارهم الســـاحق علـــيهم خـــلال هجـــوم رمضـــان الشـــهير[٣٥] ؟! و كيـــف ســـمح الجنـــود المصـــريون و اليمنيـــون لهـــؤلاء بالوصـــول إلـــى هـــذه المنـــاطق النائيـــة البعيـــدة عـــن

[٣٤] الجيش النظامي لليمن الشمالي بعد ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م (المؤلف) .

[٣٥] هجـوم شـامل بـرا و جـوا و بحـرا شـنه الجـيش المصـري بقيـادة المشـير عبـدالحكيم عـامر مـع الجـيش اليمنـي بقيـادة رئـيس الجمهوريـة عبـدالله السـلال فـي بدايـة الحـرب الأهليـة ضـد القـوات و القبائـل الملكيـة إنتهـت بطـردهم مـن الـيمن الشـمالي و هـروبهم إلـى السـعودية خـلال شـهر رمضـان المبـارك عـام ١٣٨٣م الموافـق ١٩٦٣م و مـن أشـهر معـارك هـذا الهجـوم معركـة حرض التي إنتصر فيها الجيش اليمني على نظيره السعودي إنتصارا ساحقا (المؤلف) .

مـــواطنهم الأصـــلية آلاف الأميـــال بمنتهـــى الســـهولة و اليسر ؟ ..... الخ .

لكنـــه ســـرعان مـــا تـــدارك حجـــم الكارثـــة المتعلقـــة بهـــذه الحـــرب العبثيـــة منـــذ ثلاثـــة أعـــوام علـــى إنـــدلاعها و الـــدائرة رحاهـــا فـــي بـــلاده التعيســـة و الموبـــوءة بحروبـــه الطفوليـــة التـــي لا تنتهـــي أبـــدا منـــذ فجـــر التـــاريخ حتـــى وقتنـــا الحاضـــر بعـــدما تحولـــت إلـــى لعبـــة ســـمجة مـــن قبـــل أطرافهـــا المتحـــاربين أنفســـهم ! بـــدءً مـــن الجـــيش المصـــري و قائـــده الأرعـــن عبـــدالحكيم عـــامر الـــذي حـــول إنتصـــاره العظـــيم فـــي شـــهر رمضـــان المبـــارك كمـــا أســـلفنا مـــن قبـــل إلـــى هزيمـــة مخجلـــة مفتعلـــة علـــى يديـــه و عـــن طريـــق قادتـــه الصـــغار و قـــادة الجـــيش الجمهـــوري فـــي موطنـــه الأصـــلي[٣٦] هنـــاك منـــذ عـــام ١٩٦٤م عنـــدما ســـلم جنـــوده بأســـلحتهم الخفيفـــة و الثقيلـــة و قواعـــدهم العســـكرية الكائنـــة فـــي المنـــاطق المحـــررة لقمـــة ســـائغة

[٣٦] مـــن المعـــروف عـــن عبـــدالحكيم عـــامر أن ينتمـــي إلـــى احـــد القبائـــل اليمنيـــة المهـــاجرة إلـــى المنيـــا فـــي صـــعيد مصـــر فـــي العصـــور الوسطى (المؤلف) .

لأعدائه ا الملكيين[٣٧] على طبق من ذهب دون حياء أو خجل من أحد حتى من رفاق دربه بمجلس قيادة الثورة و على رأسهم صديق عمره ناصر[٣٨] ، مرورا بأبناء طائفته الزيدية المريضة المتحكمة بمقاليد الأمور و السلطة و الحكم في الشطر الشمالي من الوطن منذ أربعة قرون و نيف من جمهوريين و ملكيين و حكاما و شعبا و سادة هاشميين و قضاة (بمن فيه والده و عائلته الكريمة المحتد) و مشايخ و عقال و رعية و مزاينة و جزارين و حجامين و دواشين[٣٩] و أخدام[٤٠] رجالا و نساء و أطفالا و شيوخا بعدما إكتشف حقيقتهم الدامغة المرة خلال وقائع المشئومة و عرف عنهم سجايا و خصال و سمات إسرائيلية يندى لها الجبين و تدفع إمامهم المبجل لديهم نوعا ما زيد بن علي إلى التبرؤ من

[٣٧] هذا اللقب كان يطلق على أنصار النظام الإمامي البائد من قبل وسائل الإعلام المحلية فقط بإعتبار النظام الإمامي من وجه الجمهوريين نظاما وراثيا بحتا و هذا صحيح بنسبة ٥٠% لكنه نظام جمهوري وراثي حصر منصب رئيس الدولة المعروف بالإمامة ضمن نطاق السلالة الهاشمية المنتمية للطائفة الزيدية (المؤلف) .

[٣٨] لقب جمال عبدالناصر لدى العامة (المؤلف) .

[٣٩] شعراء القبيلة و الناطقون بإسمها و مع ذلك يقبعون في أدنى السلم الطبقي القبلي الزيدي في اليمن الشمالي (المؤلف) .

[٤٠] الأقلية السوداء في اليمن الشمالي و هم في أدنى السلم الطبقي القبلي الزيدي (المؤلف) .

منهم إلى أبد الأبدين رغم أنها من صنع أحد أحفاده الميامين الإمام الهادي[٤١] رعاه الله و أرضاه !!! من بينها أنهم قطاع طرق متوحشين جبناء غدارين سيئوا الطباع متلبدي الأحاسيس قدريون باطرون بالنعمة التي أنعمها الله تعالى عليهم حسدة حاقدون لأتفه الأسباب منافقون حتى النخاع يكذبون في أحاديثهم الجادة و التافهة كل يوم دون كلل أو ملل و يخونون الأمانات و ينقضون العهود و الوعود دون حياء أو خجل إذا لم يجبرهم أحد على الإلتزام بها و يخاصمون أعدائهم إلى حد الكفر و الفجور إذا كانوا أضعف منهم و يحملون السلاح في كل صغيرة و كبيرة خوفا من الآخرين و لا سيما من نظرائهم الشوافع و الإسماعيليين و يستخدمون الإسلام لتبرير أفعالهم القذرة و يؤدون طقوسه العبادية ليس خوفا من الله تعالى بل خوفا من الناس

[٤١] هو الإمام يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي المعروف بالإمام الهادي أول من أدخل المذهب الزيدي إلى اليمن و أسس دولته الطائفية قادما من طبرستان في إيران عام ٩٣٠م (المؤلف) .

الـــــذي يراقبـــــونهم و يعشـــــقون الغـــــش و الفســـــاد و الفوضـــى و الثلاثـــي المـــرح الراســـخ فـــي عقليـــة إخـــوانهم العـــرب العقيـــدة و القبيلـــة و الغنيمـــة و العيـــث فـــي الأرض فســـادا إذا لـــم يجـــدوا مـــن يحاســـبهم علـــى ذلـــك أو يضـــبط تصـــرفاتهم الهمجيـــة هـــذه و لا يعجـــبهم العجـــب و لا الصـــيام فـــي رجـــب إلا بـــالقوة ..... الخ .

و إنتهـــاءً بـــالقوى الخارجيـــة الداعمـــة لكـــلا الطـــرفين الجمهـــوري و الملكـــي مـــن كافـــة الطوائـــف و المنـــاطق و المشـــارب (بمـــن فـــيهم الطائفـــة الزيديـــة) بعـــدما بـــاع أتباعهمـــا أنفســـهم رخيصـــة لهـــم و ســـال لعـــابهم المقـــزز ســـعيا وراء أمـــوالهم المســـمومة و ذهـــبهم الرنـــان و أســـلحتهم الهدامـــة و تنفيـــذا لمـــؤامراتهم الدفينـــة ضـــد وطـــنهم الســـعيد و إرضـــاء لأطمـــاع مصـــر و الســـعودية و الأردن و أمريكا و إسرائيل و إيران ..... الخ .

و ما عرى وجه أبناء جلدته الزيديين أمامه أكثر فأكثر عدم صدق ولاءتهم العقائدية لكلا الطرفين المنتميين لهما في خضم هذه الحرب ، فلا الجمهوريون موالون للنظام الجمهوري و الثورة السبتمبرية مائة بالمئة رغم أنها أنقذتهم من أسوأ نظام ثيوقراطي و كهنوتي عفن في العالم الإسلامي آنذاك لمجرد أنها ساوتهم بنظرائهم الزيود المحتقرين إجتماعيا و ساوتهم أيضا بالشوافع الذين يشكلون غالبية سكان الشطر الشمالي من الوطن عبر منحهم حقوقهم كاملة و نصيبهم من الوظائف و المناصب الكبرى في الدولة و أجهزتها المدنية و العسكرية أسوة بهم و حررتهم من الأيدلوجية الهادوية المريضة التي مازالوا يدينون بالولاء لها منذ الصغر حتى وقتنا الحاضر و لا الملكيون موالون للنظام الإمامي العفن و أسرته الحاكمة للبلاد منذ ١٩١٨م بعدما ضاقوا ذرعا حسب زعمهم من تفرد

أسرة حميد الدين بالقرار السياسي و تحكمها بالسلطة ، و هذا ما إكتشفه خلال مؤتمرات حرض و عمران و خمر للسلام الزائف (١٩٦٤-١٩٦٥م) حيث يرمون من خلالها الصيد في المياه الراكدة و كلمة حق يراد بها باطل و وسيلة دنيئة من وسائل تصفية الحسابات بين الخصوم و أمراء الحرب الدائرة رحاها هناك رغم تورطه السافر في معمعتها المقيتة و أحد أطرافها المتواطئين في إذكاء فتيلها الملتهب و إشعال سعيرها الجهنمي المفتعل منذ ثلاثة أعوام لصالح ولي نعمتهما حسن العمري الذي ما إنفك منذ ذلك الحين يخوض حربا شعواء في السر و العلن ضد رفيق دربه في دار الأيتام و دراسته العسكرية في العراق و السجون و المعتقلات ضد النظام الإمامي منذ الإنقلاب الدستوري عام ١٩٤٨م حتى إنقلاب عام ١٩٥٥م السلال و حلفائه المصريين و يدبر لهم المكائد و

الدسائس بإيعاز تام من أعوانه اليمنيين حمائم النظام الجمهوري و المصريين و حلفائه السوفييت من تحت الطاولة بدء من تأييده المشبوه لإتفاقية جدة المنعقدة بين مصر و السعودية عام ١٩٦٤م مرورا بإنقلابه العسكري الخاطف ضد الأول خلال مؤتمر خمر للسلام ؟! و إستبداله بزميله محمد أحمد الرعيني رئيسا للجمهورية عام ١٩٦٥م مرورا بتأييده الملتبس لإقتراح الدولة الإسلامية المقدم من فرع الإخوان المسلمين في اليمن و أثار غضب زملائه الصقور في النظام الجمهوري عام ١٩٦٦م و إنتهاء بلقائه السري دون علم المصريين برئيس الوزراء السوفيتي الكسندر كومنين خلال قمة رؤساء الحكومات العربية المنعقدة في القاهرة و إتفاقهما على توريد الأول للسلاح بكافة أنواعه للثاني دون الرجوع إلى حكومة أرض الكنانة[٤٢] عام ١٩٦٧م

[٤٢] يقصد بها مصر (المؤلف) .

مخالفا بذلك إتفاقية الدفاع المشترك الموقعة بين الطرفين اليمني و المصري عام ١٩٦٣م .

في كل خطوة مما سبق كان لمدير مكتبه أبي نشوان دورا رئيسيا لا يشق له غبار و لا سيما إثر عودة السلال مجددا إلى السلطة بضوء أخضر من القاهرة التي ظل منفيا فيها مدة ستة أشهر و سعيه الدؤوب لتصفيه من تآمر عليه خلال مؤتمر خمر للسلام بشتى الوسائل و كافة السبل المتاحة لديه من قبل حلفائه و ضوء أخضر منهم أيضا ! فأعدم البعض منهم و على رأسهم خلفه محمد الرعيني و زج بالبعض الآخر في غياهب السجون و المعتقلات داخل بعدما حاكمهم محاكمات عسكرية صورية يندى لها الجبين ، أما تصفيته للمتآمر الأكبر عليه حسن العمري فلها قصة أخرى لم تصل فصولها إلى حد الإنتقام الشخصي المباشر حيث تمثلت بإرساله و أعضاء حكومته من وزراء و موظفين مدنيين كانوا

ام عسكريين صغارا كانوا أم كبارا و معهم أعضاء من مجلس الشورى المنحل منذ عام ١٩٦٦م كعبدالرحمن الإرياني و أحمد النعمان إلى مصر ضمن وفد رسمي لتتولى حكومة ناصر[٤٣] أمرهم بدلا من عزلهم أو زجهم في السجون و المعتقلات داخل البلاد دون أن يعرف السبب و أثار إستغراب أبي نشوان !! لما لم يعزلهم من مناصبهم الرفيعة في الحكومة و أبقاهم فيها ؟! لما لم يعاقبهم بالسجن و الإعدام ؟!! هل خوفا على الصف الجمهوري من الإنقسام أكثر من ذي قبل و هو الذي أشعل فتيلها لحظة إندلاع ثورتنا السبتمبرية الخالدة بثوان معدودات ليسقط على إثرها معظم قادتها البواسل و على رأسهم علي عبدالمغني شهداء قبل أن ينقذها المصريون بتدخلهم العسكري ؟!!! أم خوفا من قبائلهم و عشائرهم المتوحشة التي ستقف لهم

[٤٣] لقب الرئيس المصري جمال عبدالناصر لدى عامة الناس داخل مصر و خارجها (المؤلف) .

بالمرصاد لو حاول إيذائهم أو قمعهم أو إضطهادهم رغم أنها لم تحرك ساكنا أو توقفه عند حده لحظة إعدامه لسلفه و سليل الحسب و النسب لدى قبيلته في عمران محمد الرعيني ؟!!! ام تنفيذا لأوامر الوصاية المصرية على بلاده و تحديدا أوامر بطلب من المشير [٤٤] الذي ضاق ذرعا منهم دون حياء أو خجل ؟!!! ..... و غيرها من التساؤلات المضطربة في أتون عقله الصغير قبل أن تهدأ أمواجها العارمة لحظة دخولهم مكتب سكرتير المشير آنذاك شمس بدران[٤٥] و تقوده إلى الحقيقة المرة مرارة العلقم مفادها أن النظام الجمهوري و ثورته السبتمبرية اللذين حررا شعب العربية السعيدة من جحيم الإمامة المظلم إلى الصباح المشرق للمستقبل الجديد باتا رهن خطر داهم و شارفا على الزوال عن طريق صناعها الأشاوس !

[٤٤] لقب قائد الجيش المصري عبدالحكيم عامر لدى معارضيه نسبة إلى رتبته العسكرية (المؤلف) .

[٤٥] من ضباط الصف الثاني لمجلس قيادة الثورة و من أعوان قائد الجيش النظامي و نائب رئيس الجمهورية المشير عبدالحكيم عامر و كان وزيرا للحربية خلال حرب ١٩٦٧م (المؤلف) .

كـــان يومـــا عاصـــفا إحتـــدم نقاشـــه المســـتعر داخـــل مكتـــب المشـــير بـــين رئـــيس الوفـــد رئـــيس الـــوزراء حســـن العمـــري و شـــمس بـــدران حـــول عـــدم إســـتقبال الـــرئيس ناصـــر لـــلأول إســـتقبالا رســـميا يليـــق بمقامـــه الرفيـــع تاركـــا لنائبـــه المشـــير و أعوانـــه مســـألة الترحيـــب بهـــم و حســـم الموضـــوع معهـــم بـــأي حـــال مـــن الأحـــوال و تكـــون خاتمتهـــا كارثيـــة علـــى جميـــع عناصـــرهم بعـــدما أســـفرت عـــن إعتقـــالهم و زجهـــم فـــي الســـجن الحربـــي بلمـــح البصر دون عقد أو إبرام !

لـــم يـــنس أبـــا نشـــوان فتـــرة إحتجـــازه الـــوجيزة الطويلـــة الـــدهر بالنســـبة لـــه فـــي هـــذا المعتقـــل الســـيء الصـــيت خـــلال العهـــد الناصـــري[٤٦] المبجـــل رغـــم وضـــعه فـــي زنزانـــة أفضـــل نوعـــا مـــا مـــن نظيراتهـــا اللائـــي وضـــع رفاقـــه فـــيهن جـــراء إنتمـــاءاتهم السياســـية المحظـــورة نشـــاطاتها داخـــل التـــراب المصـــري كـــالإخوان المســـلمين و

[٤٦] فترة حكم رئيس الجمهورية جمال عبدالناصر (١٩٥٤– ١٩٧٠م) (المؤلف) .

البعثيين و الشيوعيين كما حدث لأحمد النعمان و علي سيف الخولاني و عبدالرحمن الإرياني ..... الخ .

كما لم ينس أيضا كيف تحولت العلاقة بين هذين البلدين الشقيقين في عروبتهم و إسلامهم و عقيدتهم الثورية التقدمية من الأخوة و التعاون إلى العداء و التنافر و الحقد الدفين كان وراءها مجموعة من الخونة و الإنتهازيين المصريين و اليمنيين بكافة مشاربهم على أعلى مستوى لأغراض سياسية دنيئة في نفس يعقوب بين ليلة و ضحاها وصلت إلى حد إعتقال حكومة بأسرها تحت سمع و بصر رئيس بلادهم و زجهم في سجون و معتقلات دولة صديقة تدافع عن تراب وطنهم بالغالي و النفيس بأوامر عليا ! تلكم السجون المعروفة لديه عن كثب بزنازينها المزرية الغارقة في الظلام الدامس و القمع الهمجي الذي لا ينضب

لنزلائه المعتقلين فيه دون رحمة أو شفقة رغم أنها أهون الشرين من نظيراته القابعة في وطنه التي لا تصلح أصلا جحورا للفئران ، إلا أنه ذاق نصيبه من الذل و الهوان و القمع و التعذيب أسوة بزملائه المصريين وصلت إلى حد مناداته عمدا و عدوانا برقمه المدون على زيه النظامي كسجين بدلا من إسمه الحقيقي و شخصيته الإعتبارية و إلا إنهالوا عليه ضربا و ركلا بالأقدام لو طالبهم بعكس ذلك ، أو حرمانه من الذهاب إلى الحمام لقضاء حاجته مدة شهرين متتاليين إلى أن تتفجر مثانته أمعائه الغليظة من الإمساك و الفشل الكلوي ..... و غيرها من الأمور المريعة التي يندى لها الجبين و عكرت صفوه طيلة فترة إحتجازه الأليمة هناك قبل أن تنفرج أساريره و تنزاح الغمة عنه و عن رفاقه في الحكومة إثر هزيمة ١٩٦٧م .

القنديل الرابع

السلام الزائف

كاد أبو نشوان أن يطير فرحا لحظة سماعه بأخبار الهزيمة الساحقة التي حاقت بناصر و صديقه المشير و جيشهما النظامي البطل دون أن يجهر بمشاعره الفياضة تلك أمام الملأ خوفا من تفسيرهم لها على أنها نوعا من الشماتة بهم رغم أنهم سبقوه في مجاهرتهم الفجة بها كما فعل اليمنيون و المصريون و السعوديون عندما شمتوا علنا بهزيمة مصر أمام إسرائيل في تلك الحرب المشئومة عبر صلوات الشكر و أدعيتهم المريبة حمدا و شكرا لله على ما جرى دون حياء أو خجل رغم علمهم علم اليقين بعدم جواز إظهار الشماتة لإخوتهم في الإسلام كما قال رسولنا الكريم لهم .

لكــن فرحتــه الســالفة الــذكر لا تعــود إلــى علاقتهــا بوقــوع الهزيمـــة المريبـــة بحـــد ذاتهـــا بـــل لكونهـــا الســـبب المباشـــر وراء إفـــراج ســـلطات ناصـــر عـــنهم بســـرعة البـــرق دون قيـــد أو شـــرط و عـــودتهم إلـــى أرض الـــوطن ســـالمين غـــانمين ، فمـــا إن وطـــأت أقـــدامهم المتجمـــدة مـــن شـــدة البـــرد داخـــل زنـــازين القهـــر الناصـــري هنـــاك ترابهـــا الغـــالي نوعـــا مـــا حتـــى عـــادت الـــروح و الحيـــاة إليهـــا مـــن جديـــد و يبـــدأ علـــى إثـــر ذلـــك العـــد التنـــازلي لخـــروج القـــوات المصـــرية مـــن بلادهـــم الســـعيدة (؟!!) و إعـــداد العـــدة لإســـقاط حلفائهـــا الناصـــريين فيهـــا و علـــى رأســـهم عـــدوهم اللـــدود الســـلال ، فلـــم تمـــض أيـــام إلا و إنـــدهش الجميـــع فـــي الـــداخل و الخـــارج مـــن إنســـحابهم الفـــوري بســـرعة البـــرق و بســـهولة نـــادرة بموجـــب قـــرارات قمـــة الخرطـــوم مـــن هنـــاك و هـــم الـــذين ظلـــوا يكـــابرون برفضـــهم الـــدائم مـــرارا و تكـــرارا أمـــام وســـائل الإعـــلام المحليـــة و الأجنبيـــة للإنســـحاب منهـــا

رغم خسائرهم الجسيمة المفتعلة من قبل المشير فيها ! و بسبب ماذا ؟! بسبب هزيمتهم المخجلة في حرب مصيرية تمس كرامة العرب و المسلمين و الفلسطينيين ألا و هي حرب ١٩٦٧م ؟!! و أمام من ؟!!! أمام عدو جبان و رعديد و تافه لا يستحق الذكر أو يشار له بالبنان يخاف جنوده المدججين بالأسلحة الخفيفة و الثقيلة على حد سواء من حجارة ملساء تقذف في وجوههم المقززة و المثيرة للإشمئزاز من قبل أطفال لم يبلغوا سن الرشد فيفرون من أمامهم فرار الفئران المذعورة من مطاردة القطط لها إلا و هي إسرائيل ؟!!!!

ظلت هذه الهزيمة العجيبة أو النكسة كما لقبها ناصر[٤٧] فيما بعد بذلك الوصف المهذب دون أن يعرف السبب تثير إستغراب أبي نشوان ثم إستغرابي أنا أيضا فترة مراهقتي المبكرة آنذاك ، سيما و أن

[٤٧] لقب الرئيس المصري جمال عبدالناصر لدى العامة في بلاده (المؤلف) .

مجريات هذه الحرب الكارثية أن لم نقل الفضاحية تؤكد بالدليل القاطع إنتصار إسرائيل المزيف فيها و إستيلائها على شبه جزيرة سيناء و قطاع غزة و الضفة الغربية و الجولان دون أن يطلقوا رصاصة واحدة بتواطؤ من حكام مصر و سوريا و الأردن و قادة جيوشهم النظامية الخونة الذين سلموا جنودهم و أراضيهم المحتلة السالفة الذكر لهم على طبق من ذهب رغم الأسباب و العوامل العديدة التي ساقها المصريون و العرب و المسلمين و الغربيين و الإسرائيليين بكافة مشاربهم وفقا لتصوراتهم المزعومة حول ما جرى فيها و ترضي غرورهم و أكاذيبهم فحسب دون أن تنال رضا قناعات كلينا لا من قريب أو من بعيد ، و إلا كيف تفسر هزيمة الجيش الإسرائيلي أمام نظيره المصري و فرار جنوده من قبضتهم النارية خلال معركة أبو عجيلة في بداية الحرب حتى بعد تدمير سلاحهم الجوي

قبل ثلاث ساعات ؟! و كيف تفسر أيضا إحتلال إسرائيل الخرافي لأراض شاسعة بحجم اليمن شمالا و جنوبا في سوريا و الأردن و فلسطين و مصر بسرعة البرق في ظرف ستة أيام كما لو كنا في فيلم سينمائي لسوبر مان أو الرجل الوطواط أو سلاحف النينجا ؟!!!

عموما ، و بغض النظر عما إذا كانت هزيمة ١٩٦٧م وراء خروج المصريين من اليمن أم لا فلقد أتاح إنسحابهم المريب الفرصة الذهبية لسيده حسن العمري و رجال حكومته المنحلة كي ينقضوا على صديقه اللدود السلال و أعوانه من صقور النظام الجمهوري اليساريين بعدما أضحت الساحة الداخلية خالية من حلفائهم القادمين من أرض الكنانة و مرتعا خصبا لخصومهم الحمائم من الجمهوريين و أعدائهم الملكيين الإماميين و حلفائهم من بلاد الحرمين الشريفين يرتعون فيها كما

يحلـــو لهـــم خـــلال هـــذا الوقـــت الحـــرج الـــذي صـــادف ضـــمن مجرياتـــه قيـــام أحـــداث جســـام لا تقـــل خطـــورة عـــن الحـــرب الـــدائرة فـــي الـــبلاد منـــذ خمـــس ســـنوات عجـــاف تمثلـــت بإصـــدار الســـلال أوامـــره العليـــا للجـــيش النظـــامي بهجومـــه الوحشـــي علـــى القـــوات المصـــرية المرابطـــة فـــي صـــنعاء و تعـــز و الحديـــدة و إرتكـــاب مـــذابح دمويـــة ضـــد عناصـــرها الآمنـــين بحمـــايتهم الزائفـــة ردا علـــى قـــرار ناصـــر بســـحب جنـــوده مـــن بـــلاده قبـــل أن يفاجئـــه المصـــريون بإســـقاطه مـــن الحكـــم فـــي التـــو و اللحظـــة عبـــر رفيـــق دربـــه و عـــدوهم اللـــدود الفريـــق العمـــري الـــذي قـــاد إنقلابـــا عســـكريا ضـــده مســـتغلا غيابـــه بضـــعة أيـــام عـــن البلـــد خـــلال زيارتـــه الرســـمية إلـــى العـــراق كـــأخر عمـــل يقـــوم بـــه الرجـــل كـــرئيس للجمهوريـــة ممـــا أتـــاح الفـــرص لأنصـــار المعســـكر الملكـــي بـــدورهم كـــي يضـــربوا حصـــارهم الشـــامل للعاصـــمة مـــن كافـــة المحـــاور الأربـــع بلمـــح البصـــر مســـتغلين الصـــراع

المحتـــدم بـــين الحكـــام النـــوفمبريين[٤٨] الجـــدد و معارضوهم من الصقور الجمهوريين .

الغريـــب فـــي الأمـــر أن الملكيـــين إســـتغلوا خـــروج المصـــريين حتـــى ينقضـــوا علـــى صـــنعاء بتحـــريض مـــن الســـعودية التـــي تعهـــدت لـــلأول بعـــدم الإعتـــداء علـــى حلفائهـــا الجمهـــوريين لا مـــن قريـــب أو مـــن بعيـــد بموجـــب قـــرارات مـــؤتمر الـــلاءات الـــثلاث[٤٩] ، و الأغـــرب أن بعضـــا مـــن القـــادة العســـكريين و شـــيوخ القبائـــل المنتمـــين للمعســـكر الجمهـــوري المتـــواطئين معهـــم مـــن وراء الســـتار ســـاعدوهم فـــي إحكـــام الحصـــار الخـــانق عليهـــا ، و الأكثـــر غرابـــة فـــي الموضـــوع تـــرك الملكيـــين للمحافظـــات الشـــافعية الموالیـــة للمعســـكر الجمهـــوري كتعـــز و الحديـــدة و إب خـــارج نطـــاق ســـيطرتهم المحصـــورة فـــي المحافظـــات الزيديـــة رغـــم أن

[٤٨] نسـبة إلـى شـهر نـوفمبر الـذي تـم فيـه الإطاحـة بـرئيس الجمهوريـة عبـدالله السـلال عبـر إنقـلاب عسـكري قـاده رئـيس الـوزراء الفريق حسن العمري و عين مكانه القاضي عبدالرحمن الإرياني رئيسا للجمهورية في الخامس منه عام ١٩٦٧م (المؤلف) .

[٤٩] لقـب مـؤتمر القمـة العربيـة فـي الخرطـوم عـام ١٩٦٧م نسـبة إلـى قراراتهـا الثلاثـة الحاسـمة بمقاطعـة إسـرائيل : ١- لا سـلام مع إسرائيل ٢- لا تفاوض مع إسرائيل ٣- لا صلح مع إسرائيل (المؤلف) .

بقائها حرة طليقة عنهم يشكل خطرا داهما عليهم أكثر من صنعاء بحد ذاتها مما يكشف لنا مدى ضحالة فكرهم السياسي و العسكري الطائفي المتخلف السائد منذ العهد البائد الذي يدافعون عنه آنذاك حيث مازالوا يعتقدون حسب زعمهم أن من يسيطر على العاصمة صنعاء فإن بقية أطراف البلاد ستخضع لهم على الفور من تلقاء نفسها !!

لكن ما زاد من إستغراب أبي نشوان إلى جانب ما سبق هو ما إرتكبه قادة العهد النوفمبري من جرائم لا تقل بشاعة عما حدثت في عهد سلفه السلال بحق الوطن و النظام الجمهوري و الثورة السبتمبرية و فاقتها بمراحل أضعافا مضاعفة عندما إكتشف الكم الهائل منها خلال خوضه مع رفاقه النوفمبريين غمار ملحمة السبعين[٥٠] و كادت أن تضع صنعاء في مهب الريح لولا البطولات الأسطورية للجيش

[٥٠] وصف الجمهوريين لحصار صنعاء من قبل القوات الملكية مدة سبعين يوما من أواخر عام ١٩٦٧م حتى مطلع عام ١٩٦٨م (المؤلف) .

النظـــامي بقيـــادة عبـــد الرقيـــب مقبـــل و مقـــاتلي القـــوى الثوريـــة المتطـــوعين و ســـلاح الطيـــران المحلـــي (رغـــم تشـــكله حـــديثا علـــى يـــد الطيـــارين المتخـــرجين مـــن الإتحـــاد الســـوفيتي) بقيـــادة علـــي حســـن الشـــيبة و القـــوات المســـلحة الجنوبيـــة المرســـلة مـــن قبـــل رئـــيس الجمهوريـــة قحطـــان الشـــعبي لمســـاعدة إخوانـــه الشـــماليين حيـــث كـــانوا فـــي أمـــس الحاجـــة إليهـــا تحـــت وقـــع شـــعار (الجمهوريـــة أو المـــوت) الثـــوري و لأضـــحى كـــل مـــا تتحقـــق طيلـــة الســـتة أعـــوام مـــن عمـــر ثورتنـــا المجيدة في خبر كان .

كـــان أول الغيـــث مـــن هـــذه الجـــرائم التـــي ينـــدى لهـــا الجبـــين تأســـيس الفريـــق العمـــري للجـــيش الشـــعبي الـــذي لـــم يكـــن جيشـــا نظاميـــا بـــالمعنى المفهـــوم بـــل مجـــرد مليشـــيات قبليـــة زيديـــة غيـــر منظمـــة لا يتـــأمرون إلا بـــأوامر شـــيوخ قبـــائلهم فحســـب رغـــم حصـــولهم علـــى رتـــب عســـكرية بشـــكل غيـــر مشـــروع مـــن الســـلطات

الرسمية ! فضلا عن كونهم غير متمرسين في القتال النظامي و لا يمتلكون عقيدة قتالية أصلا خلال الحصار حيث كانوا يقاتلون الملكيين سعيا وراء المال و الغنائم أو ما عرف بعرف هذه الأيام (حق الزلاج[٥١]) فحسب ، فإذا لم تستجب الحكومة لمطالبهم قلبوا لها ظهر المجن و تحالفوا مع أعدائهم الملكيين و سلموا أجزاء من العاصمة المحاصرة لهم على طبق من ذهب مقابل حفنة الذهب كما فعل الشيخ الأحمر و نظيره أبو لحوم و شيوخ أرحب من قبل ، و هذا ما دفع الفريق العمري و من منطق الضرورات تبيح المحظورات إلى تحويل خزينة الدولة إلى بقرة حلوب خاصة بهم يحلبون من ضرعها الجاف كما يحلوا لهم خلال فترة الحصار ليضحى هذا السلوك الأرعن مقدمة للخطيئة التالية التي إرتكبها لصالحهم ضمانا لولائهم المشكوك فيه

[٥١] الإنتهاء أو إنجاز العمل باللهجة الصنعانية (المؤلف) .

لـــه تمثلـــت بتخصـــيص شـــحنة الأســـلحة الســـوفيتية الراســـية بمينـــاء الحديـــدة منـــذ شـــهرين علـــى إنتهـــاء الحصـــار لهـــم مـــا أثـــار الصـــناع الحقيقيـــين للنصـــر و علـــى رأســـهم عبـــد الرقيـــب مقبـــل حيـــث رأوا فيهـــا صـــفقة باطلـــة ممـــن لا يملـــك لمـــن لا يســـتحق بوضـــع نظـــامهم التقـــدمي الســـبتمبري تحـــت نيـــر القـــوى الرجعيـــة الزيديـــة المتذبذبـــة بـــين المعســـكرين الجمهـــوري و الملكـــي مـــن قبـــل ، فمـــا كـــان عليـــه و زملائـــه النـــوفمبريين الخـــائفين مـــن عـــودة الســـلال و أعوانـــه مـــن صـــقور النظـــام الجمهـــوري إلـــى الحكـــم ســـوى خـــوض حـــرب شـــعواء علـــى ثكنـــاتهم العســـكرية لتنتهـــي بمجـــزرة إرتكبهـــا بمشـــاركة أبـــي نشـــوان و عمنـــا[٥٢] و الغشـــمي[٥٣] ضـــدهم داخـــل الكليـــة الحربيـــة إنتهـــت بمقتـــل عبـــد الرقيـــب مقبـــل و العديـــد مـــن رفاقـــه خـــلال شـــهر أغســـطس عـــام ١٩٦٨م أي قبـــل إنتصـــاره العظـــيم علـــى الملكيـــين و

[٥٢] لقب رئيس الجمهورية علي عبدالله صالح لدى العامة (المؤلف) .

[٥٣] لقب رئيس الجمهورية أحمد الغشمي لدى العامة (المؤلف) .

تطهير كل شبر من تراب الشمال بمن فيها صعدة من وجودهم العسكري و حليفهم السعودي إلى الأبد عام ١٩٦٩م قبل أن يحولوه إلى نصر مزيف عن طريق توقيعهم لإتفاقية جدة لإنهاء الحرب الأهلية في العام التالي دون أن يكون في حسبانهم عواقبها الوخيمة على بلدهم و على نظامهم النوفمبري بعدما تحولت إلى المسمار الأول و الأخير في نعشه إلى غير رجعة حيث لم يكن هناك داع لوجودها أو حتى التفكير بها و لو على سبيل المزاح بعدما نجحوا فيما عجز السلال و حلفائه المصريون عن تحقيقه من قبل ، علاوة على أن الإتفاقية المذكورة سلفا صادرة من المهزوم الذي يريد من خلال بنوده و مواده الغير منطقية و اللا واقعية فرض شروطه المجحفة على المنتصر دون حياء أو خجل و من بينها إشراك الملكيين في السلطة و صنع القرار السياسي و فرض الوصاية

السعودية على الشمال و إقامة ديمقراطية هزلية و إقتصادي رأسمالي عبثي تحت سيطرة القوى الرجعية القبلية الموالية لمن يدفع لها أكثر من القوى الخارجية و خدمة مصالحها الهدامة ضد الوطن ..... الخ .

و مع ذلك ، و بالرغم من نتائجها الكارثية عليهم قبل بها النوفمبريين دون قيد أو شرط أو إعتراض يذكر و لو بأدنى شفة ، و الأدهى و الأمر من ذلك أنهم قبلوا أن يكونوا لعبة بيد السعوديين و حلفائهم في الداخل كما يحلو للأخير ضد إخوانهم الجنوبيين الشيوعيين الذين إحتضنوا العناصر اليسارية التقدمية الفارة من قمعهم البوليسي لهم إثر مجازر أغسطس الدامية و بواكير عمليات الإختفاء القسري الممارسة ضدهم منذ مطلع السبعينات .

ظل أبو نشوان و أنا نتساءل عن سر هرولة رفاقه النوفمبريين و على رأسهم سيده الفريق العمري

خلف هذه الإتفاقية المشئومة بحماسة مفرطة إلى حد إذلال كبريائهم المنصور أمام غطرسة عدوهم المهزوم دون وجه حق ! أهي العناصر الرجعية منهم و لا سيما قادة الجيش الشعبي و على رأسهم الشيخان الأحمر و أبو لحوم ؟ أم الحفاظ على النظام الجمهوري إلى الأبد بأقل قدر ممكن من الخسائر عن طريق السلام ؟ أم غياب الحلفاء الإقليميين أو الدوليين الداعمين لهم في مواجهة جارتهم الشمالية و مؤامراتها الدنيئة ضدهم بعد خروج حليفهم المصري من ساحتهم المحلية إلى غير رجعة ؟ أم رغبتهم الدفينة في القضاء المبرم على النظام الجمهوري و ثورته السبتمبرية عبر نظام مشوه و محرف عن أصوله السامية عبر إعادة عقارب الساعة إلى الوراء إرضاء لشركائهم الرجعيين أصحاب فكرة مؤتمرات السلام الشعبية خلال فترة الحرب الأهلية و التي كانت كلمة حق يراد بها

باطـــل ؟ ..... و غيرهـــا مـــن التســـاؤلات الملفوفـــة بـــالحيرة و الغمـــوض دون أن نجـــد لهـــا جوابـــا شـــافيا فـــي بلـــد أهلهـــا معجـــونين بـــالحيرة و الغمـــوض منـــذ الصـــغر ســـوى أن العهـــد النـــوفمبري كـــان أســـوأ بكثيـــر مـــن عهـــد ســـلفه الســـلال بمراحـــل طـــوال بـــالرغم مـــن إيجابياتـــه النـــادرة المتمثلـــة بإنشـــاء أول جامعـــة فـــي الشـــمال جامعـــة صـــنعاء عـــام ١٩٧٠م عـــن طريـــق وزيـــر التربيـــة و التعلـــيم أحمـــد جـــابر العفيـــف بتمويـــل كـــويتي صـــرف علـــى أنقـــاض جامعـــة ســـبأ التـــي نالـــت قصـــب الســـبق قبلهـــا و تـــم إفتتاحهـــا مـــن قبـــل الســـلال قبيـــل هزيمـــة ١٩٦٧م بثلاثـــة أشـــهر وســـط معارضـــة شـــديدة مـــن قبـــل القـــوى الرجعيـــة الزيديـــة و الإخـــوان المســـلمين ، و إقامـــة ثـــاني برلمـــان فـــي الشـــمال عـــرف بـــالمجلس الـــوطني عـــام ١٩٦٨م ثـــم مجلـــس الشـــورى عـــام ١٩٧٠م ليكـــون بـــدوره لســـان حـــال الديمقراطيـــة البرلمانيـــة و أداة الرقابـــة و المحاســـبة للســـلطة

التنفيذية من خلال أورقتها التشريعية قبل أن يتمخض عن تلالها المزيفة فئران مشوهة عاثت في الأرض فسادا و كشفت عن حقيقتها المرة و عن ديمقراطيتها الهزلية المتمثلة بدستور دائم هو الأول من نوعه في البلاد بعهديها الإمامي و الجمهوري لا يصلح إلا للمجتمعات الاوروبية العريقة في ديمقراطيتها الحديثة و ليس لمجتمعنا المتخلف و الغبي الذي لا يعرف سكانه كوعهم من بوعهم حتى يعرفوا شئ إسمه ديمقراطية و يفقهوا حرفا واحدا منها ، و حتى و إن عرفوها لا يلتزمون بحرف واحد منها لا من قريب أو من بعيد تماشيا مع عقليتهم المزاجية التافهة لينتج عنها و عن هذا الدستور السالف الذكر معا برلمان إسمه مجلس الشورى و هو بعيد تماما عن الشورى بعد الأرض عن السماء حيث كان يعج هذا البرلمان بالعنصرية الرجعية المكونة من مراكز القوى القبلية و السلالية الفاسدة

و يخلـــو تمامـــا مـــن التقـــدميين و اليســـاريين و الرجـــال الشـــرفاء الغيـــورين علـــى وطـــنهم الحبيـــب بالغـــالي و النفـــيس و ســـلطة غيـــر مشـــروعة لنشـــر و إباحـــة الفســـاد المـــالي و الإداري و الأخلاقـــي داخـــل أجهـــزة الدولـــة المدنيـــة و العســـكرية و الفوضـــى الأمنيـــة و المروريـــة و تجـــارة الســـلاح و المخـــدرات و الجريمـــة المنظمـــة و الفســـاد الإقتصـــادي و بيـــع الرتـــب العســـكرية و الوظـــائف الحكوميـــة و القضـــائية فـــي أرجـــاء العربيـــة الســـعيدة و تمـــنح مرتكبيهـــا مـــن حثالـــة المجتمـــع القبلـــي الزيـــدي صـــكوك الغفـــران و حصـــانة مقدســـة تحمـــيهم مـــن المحاكمـــة و الرقابـــة و المحاســـبة و العقـــاب و الســـجن و الإعـــدام بعـــدما فتحـــوا أبـــواب الإجـــرام و الفســـاد فـــي بلادهـــم علـــى مصـــراعيها كمـــا يحلـــو لهـــم تطبيقـــا للمثـــل الفرنســـي الشـــهير (مـــا أبشـــع مـــا يرتكـــب باســـمك أيتهـــا الحريـــة) ، و أن حاولـــت حكومـــة مـــا أن تـــوقفهم عنـــد حـــدهم يقـــف هـــذا البرلمـــان المثيـــر

للضحك لها بالمرصاد و يسقطها بعد سحب الثقة منها إن لم تمش على هواها و دون إن تحميها مؤسسة رئاسة الجمهورية الممثلة بالمجلس الجمهوري الذي لا يحل و لا يربط بأعضائه العشرة من عنجهيتهم الهمجية..... و غيرها من المهازل الكاريكاتورية التي تذكرني دوما بديمقراطية دولة الوحدة المباركة المثيرة للضحك و الهزل معا هذه الأيام .

و لم تكن هذه الكارثة الوحيدة التي أدت إلى سقوط النوفمبريين من أعين الناس و أفول عهدهم إلى غير رجعة ، فهناك كارثة الجفاف[٥٤] المزمن الثاني الذي ضرب أرجاء تهامة و ما حولها من حجة إلى تعز عام ١٩٧٣م ، فضلا عن كارثة تمديد إتفاقية الطائف الحدودية الموقعة بين اليمن الشمالي و السعودية عام ١٩٣٤م و التي تولى

[٥٤] كارثة الجفاف الأول حدثت في عهد الإمام يحيى حميد الدين عام ١٩٣٩م (المؤلف) .

توقيعهـــا مجـــددا رئـــيس الـــوزراء عبـــدالله الحجـــري[٥٥] و وزيـــر خارجيتـــه محمـــد النعمـــان[٥٦] عـــن الجانـــب اليمنـــي و الملـــك فيصـــل بـــن عبـــدالعزيز عـــن الجانـــب الســـعودي فـــي الريـــاض عـــام ١٩٧٤م و التـــي ســـرعان مـــا ألبـــت علـــيهم الغضـــب الجمـــاهيري العـــارم داخـــل الـــبلاد و خارجهـــا و أطلقـــت رصاصـــة الرحمـــة علـــى عهـــدهم المتـــأرجح بـــين الجنـــة و النـــار لاحقـــا بعـــدما إســـتغلها خصـــومهم اليســـاريين التقـــدميين فـــي الجنـــوب خيـــر إســـتغلال حيـــث حركـــوا أنصـــارهم داخـــل الحركـــة الطلابيـــة خـــارج الـــبلاد ليقيمـــوا الـــدنيا و يقعـــدوها ضـــدهم و عمـــالتهم الدنيئـــة للعـــدو التـــاريخي لليمنيـــين الســـعودية حســـب تعبيـــرهم عبـــر بـــيعهم عســـير و نجـــران و جيـــزان و بيشـــه و الباحـــة لـــه بـــرخص التـــراب و إعتـــداءاتهم و حـــروبهم المفتعلـــة بالوكالـــة ضـــد إخـــوانهم

---

[٥٥] رئـيس وزراء سـابق (١٩٧٣-١٩٧٤م) و مـن أعـوان النظـام الإمـامي سـابقا عنـدما كـان رئيسـا لهيئـة الأمـر بـالمعروف و النهـي عـن المنكـر (١٩٥٩-١٩٦٢م) قبـل أن يصـبح مواليـا للنظـام الجمهـوري إثـر الإفـراج عنـه مـن قبـل محكمـة الشـعب عـام ١٩٦٣م و هو والد محافظ ذمار السابق أحمد الحجري ، لقي مصرعه في لندن عام ١٩٧٧م (المؤلف) .

[٥٦] طبيـب سياسـي ثـائر و عضـو جماعـة الإخـوان المسـلمين فـي الـيمن و مستشـار رئـيس الجمهوريـة عبـدالرحمن الإريـاني (١٩٧٠-١٩٧٣م) و وزيـر الخارجيـة (١٩٧٣-١٩٧٤م) و هـو إبـن رئـيس الـوزراء السـابق أحمـد النعمـان و مؤسـس الدسـتور الدائم للجمهورية العربية اليمنية عام ١٩٧١م ، لقي مصرعه في بيروت عام ١٩٧٤م (المؤلف) .

الجنـــوبيين و إضـــطهاد التقـــدميين دون رحمـــة أو شـــفقة و فـــرض الشـــريعة الإســـلامية المتخلفـــة الســـائدة فـــي العهـــد الإمـــامي الغيـــر صـــالحة لأي عصـــر أو آوان علـــى النـــاس بـــالقوة الجبريـــة إرضـــاء لهـــا و عملائهـــا الفاســـدين المـــوالين لهـــا علـــى إمتـــداد القطـــر ، عـــلاوة عـــن الإنفتـــاح الإقتصـــادي الغيـــر مـــدروس و إغـــراق الـــبلاد فـــي وحلـــه اللـــزج تقليـــدا للنمـــوذج المصـــري بحـــذافيره قبـــل أن يوقفـــه أبـــو نشـــوان عنـــد حـــده عـــام ١٩٧٥م و يـــدفنها غيـــر مأســـوف عليـــه ليظـــل فـــي قبـــره العتيـــد طيلـــة عقـــد و نيـــف مـــن الـــزمن قبـــل أن يخرجـــه عمنـــا منـــه و يحييـــه مـــن جديد عام ١٩٩٥م ..... الخ .

لكـــن هـــذه الكـــوارث المـــذكورة أعلاهـــا لـــم تمنـــع مـــن ظهـــور إيجابيـــات حميـــدة و مجيـــدة للعهـــد النـــوفمبري و لـــو علـــى ســـبيل التنويـــه الصـــحفي فـــي هـــامش الإعلانـــات المبوبـــة كالنهضـــة الثقافيـــة الصـــاعدة آنـــذاك و المتـــنفس الوحيـــد للتقـــدميين المعارضـــين للنـــوفمبريين و حلفـــائهم

عن طريق مجلة (اليمن الجديد) الصادرة عن وزارة الإعلام و الثقافة بحلتها القشيبة عام ١٩٧١م ، المجلة التوأم لمجلة العربي[٥٧] بشهرتها و رقيها الثقافي و مثلي الأعلى في عشقي الدائم للأدب و القصة القصيرة و الرواية و المسرح سواء بلغة الضاد أم بلغات شكسبير و موليير و جوته و الفنون و الرسم و النحت منذ ريعان شبابي في المرحلة الإعدادية رغم إفتقارها الحاد للصور الفوتوغرافية الشغوف بهن شغفا متناهيا بالصورة و لاسيما المتحركة منهن منذ الصغر قبل أن أعوض حرماني الطاغي بهن عبر تأملي العميق للوحات رمادية رائعة زينت صفحاتها الناصعة أبدعها فنانون موهوبون من أبناء جلدتي من كلا الجنسين المتمرسين منذ سبعينات القرن العشرين عبر من خلالهن عن نهضة إبداعية فنية و ثقافية عظيمة قل نظيرها شهدتها

[٥٧] مجلة ثقافية كويتية و لسان حال وزارة الإعلام الكويتي تأسست على يد الصحفي و الأديب اليمني المقيم في الكويت فارس السقاف و الطبيب و العالم المصري أحمد زكي عام ١٩٥٨م (المؤلف) .

بلادنا السعيدة خلال عهدها السبتمبري المجيد قبل أن تهيل دولة الوحدة المباركة التراب عليها و على مسيرتها الحافلة بالعطاء المتجدد في نهضة البلاد الثقافية و تنشئ على أنقاضها مجلة عديمة الفائدة رغم إكتظاظها السمج بالصور الفوتوغرافية تسمى (الثقافة) عام ١٩٩١م ، و إذاعة الحديدة التي تأسست عام ١٩٦٨م كثالث إذاعة في البلاد بعد زميلتيها صنعاء و تعز و فرقتي المسرح الوطني و العسكري عام ١٩٦٩م التي تعد نواة للمسارح الوطنية في كافة المحافظات الشمالية .

إلى جانب النهضة الثقافية ظهرت نهضة إقتصادية مجارية لها على إستحياء تمثلت بتأسيس أول مصرف مركزي في البلاد عام ١٩٧١م و تأسيس أول مكتبة عامة في العاصمة صنعاء و لو على نطاق ضيق أضيق من عنق الزجاجة رغم شراء أمير الكويت صباح سالم الصباح الكتب و المعدات و

المكـــان مـــن جيبـــه الخـــاص و عرفـــت لاحقـــا ببيـــت الثقافة عام ١٩٦٨م .

تـــزامن مـــع هـــذه النهضـــة الثقافيـــة الســـالفة الـــذكر نهضـــة إقتصـــادية مماثلـــة و لكـــن ضـــمن نطـــاق محـــدود تمثـــل بظهـــور أول مصـــرف مركـــزي و خزينـــة عامـــة فـــي تـــاريخ الشـــمال تأســـس عـــام ١٩٧١م علـــى يـــد رئـــيس الـــوزراء أحمـــد النعمـــان ألا و هـــو البنـــك المركـــزي اليمنـــي فـــي مقـــره القـــديم بـــالقرب مـــن شـــارع القصـــر قبـــل نقلـــه إلـــى مقـــر الجديـــد و الـــدائم بشـــارع عبـــدالمغني عـــام ١٩٨٠م ليحـــل محـــل نظيـــره يبكـــو فـــي توجيـــه دفـــة السياســـة النقديـــة للدولـــة و إصـــدار و طبـــع و ســـك العملـــة الرســـمية و دعـــم ســـعرها و حمايتهـــا مـــن تجـــار الســـوق الســـوداء للمضـــاربة و المســـاس ســـوءا بهـــا رغـــم بـــدأ بدايـــة ســـيئة بترويجـــه المتعمـــد لسياســـة الإنفتـــاح الإقتصـــادي أو البـــاب المفتـــوح (كمـــا يحلـــو لمهندســـه المخضـــرم العطـــار وصـــفها بهـــذا التعبيـــر) الغيـــر مـــدروس

و إغـراق بلادنـا فـي طينهـا الـلازب قبـل أن يوقفهـا أبـو نشـوان عنـد حـدها ليهيـل عليهـا التـراب عـام ١٩٧٥م و تظـل مدفونـة فـي الأرض غيـر مأسـوف عليهـا قبـل أن يخرجهـا عمنـا مـن القبـر و يحييهـا مـن جديـد عـام ١٩٩٥م ..... الخ .

و مـع ذلـك ، لـم تمنـع هـذه الكـوارث التـي حاقـت بالعهـد النـوفمبري و أصـابته فـي مقتـل أبـا نشـوان مـن تحقيـق ذاتـه و إثبـات جدارتـه فـي خضـم معمعتـه الغامضـة و سـعيه الحثيـث بشـكل مـدروس نحـو المجـد و السـلطة بخطـى ثابتـة مسـتفيدا مـن أخطـاء سـيده الفريـق العمـري الـذي ضـاق ذرعـا مـن حلفائـه الـرجعيين و تحكمهـم الفوضـوي الفاسـد بالدولـة و مرافقهـا المدنيـة و العسـكرية بعـدما رفـض غاضـبا طلـب طلـب رئـيس البرلمـان الشـيخ الأحمـر مـنح صـهره أبـو شـوارب رتبـة عميـد لمخالفتهـا الصـريحة و الفجـة للـوائح و قـوانين الرتـب العسـكرية مـا دفـع

الأخير و بالتواطؤ مع الرئيس القاضي الإرياني إلى تدبير مكيدة حقيرة له على الطريقة الأمريكية عرفت أمام العامة حينذاك بقضية إغتيال الصحفي الحرازي أجبرته على الإستقالة من منصبه الرفيع كرئيس للحكومة عام ١٩٧١م و آثر على إثر ذلك إعتزال العمل الحكومي و الإنزواء عن الناس حتى وافاه الأجل عام ١٩٨٨م ، فواصل أبو نشوان السير على هذا الطريق المحفوف بالمخاط و الأشواك بحذر شديد دون إستفزاز الذئاب القبلية و الزيدية المسعورة المحيطة بهم و من خلفهم حلفائهم السعوديين و العراقيين و الإيرانيين المتصارعين على بلادهم المنكوبة بأمثالهم حتى تحين اللحظة المناسبة للإنقضاض عليهم و تطهير وطنه المسلوب من شرهم المستطير ليقطف ثمارها بشق الأنفس في نهاية المطاف .

القنديل الخامس

السعي نحو المجد

و من أهم الإنجازات التي حققها في سبيل هذا الغرض المنشود خلال حياته العسكرية و النوفمبرية على حد سواء كان إعتلائه منصب قائد الجيش و رئيس هيئة الأركان و هو لم يتجاوز التاسعة و العشرين من عمره خلفا للعقيد حسين المسوري (أول قائد عسكري ينتمي إلى طبقة المزاينة أو الفئات المحتقرة إجتماعيا لدى الطائفة الزيدية تولى هذا المنصب الرفيع في تاريخ الشمال) حيث صنع من خلاله الأعاجيب قدر إستطاعته و إعداد العدة لتجنيد الضباط و الجنود النظاميين لمشروعه الرامي لتغيير نظام الحكم الراهن بالتدريج ، و ما رفع أسهمه لديهم تمكنه من إعتقال الجاسوس الإسرائيلي الشهير و من أخطر جواسيس الموساد في الشرق الأوسط ستينات القرن العشرين باروخ

في ميناء الحديدة بالجرم المشهود عام ١٩٧٢م حيث أن غروره الطاووسي و إعتزازه الحاد بنفسه هو من أوقعه في شر أعماله على أناس أقل منه مكانة و خبرة في حقل العمل الإستخباراتي ، ثم وضع خطة عبقرية لإرسال هذا الجاسوس حيا للمخابرات المصرية بغاية السرية و الكتمان عبر شحنه في نعش خشبي جوا بعد ثلاثة أسابيع على وفاته المزعومة منتحرا بالسم داخل إحدى معتقلات الجيش السرية بجبال عمران بعدما إنكشف مكانه للموساد عن طريق بعض المسئولين الفاسدين في الدولة .

و قد قادته عملية باروخ إلى تحقيق إنجازه الثاني المتمثل بحصوله على عضوية المجلس الجمهوري العديم الفائدة عام ١٩٧٣م و إن أتى ذلك على حساب عضوه السابق الشيخ محمد علي عثمان الذي لقي مصرعه في الطريق أثناء سفره إلى مسقط

رأسه بالحجرية في العام ذاته على يد الذئاب القبلية الفاسدة إياها في الدولة بعدما وقف لتجاوزاتهم الشاذة ضد سكان محافظات تعز و إب و البيضاء بالمرصاد خلال حرب اليمن الأولى ، فيحقق من خلال عضويته الشرفية تلك إنجازه الثالث و العمود الفقري لنظام حكمه المتمثل بإتحاد هيئات التعاون الأهلي عام ١٩٧٣م متأثرا برفيق الزنزانة القاضي محمد عاموه و تطبيقا للهدف الرابع لثورتنا السبتمبرية الخالدة و لمواجهة مراكز القوى الرجعية الطائفية و القبلية الفاسدة و أزمات الشمال الداخلية عبر هيئات شعبية يسودها روح التعاون و الأخوة و المواطنة الصادقة قبل أن ينحجوا في وأدها إلى الأبد تحت تراب وحدتنا المباركة و خناجرها الطاهرة .

لم يدر بخلدي في يوم من أيام صيف ١٩٩٤م الحارة على غير العادة و أنا واقف بالقرب من

حـــاجز التفتـــيش التـــابع لمبنـــى القيـــادة العامـــة للقـــوات المســـلحة المقابـــل لجولـــة الشـــذروان بنافورتهـــا الملونـــة الظمآنـــة طـــوال العـــام و حـــارة الحرقـــان و شـــارع الخيـــاطين الـــذي كـــان فيمـــا مضـــى مقـــرا للحكـــم فـــي النصـــف الثـــاني مـــن ســـبعينات القـــرن العشـــرين متـــأملا بوابتهـــا العســـكرية التركيـــة الطـــراز علـــى الـــنمط الصـــنعاني بأحجارهـــا المصـــنوعة مـــن صـــخور الشـــلف الرماديـــة اللـــون بـــأن هـــذا المكـــان المغمـــور سيشـــهد مـــيلاد زعـــيم جديـــد للـــبلاد فـــي الثانيـــة و الثلاثـــين ربيعـــا رغـــم كونـــه فيمـــا مضـــى قـــاض فاشـــل و ضـــابط مغمـــور فـــي ســـلاح الإحتيـــاط قـــادم مـــن المنـــاطق الوســـطى ذات الأغلبيـــة الشـــافعية و بـــورة العنـــف الحـــدودي بـــين الشـــطرين لأتفـــه الأســـباب يعيـــد للشـــماليين ثقـــتهم بنظـــامهم الجمهـــوري و ثـــورتهم الســـبتمبرية مـــرة أخـــرى و تســـوقه الأقـــدار مـــن خـــلال أروقتـــه المحنطـــة إلـــى هـــرم الســـلطة فـــي الشـــهر الـــذي ولـــدت فيـــه ! (لـــولا إخـــتلاف اليـــوم و العـــام لقلـــت

أن قـــدرا مشـــتركا يجمعننـــا رغـــم تباعـــد الأزمنـــة بيننـــا) بعـــدما أثمـــرت جهـــود الســـنين الســـرية التـــي قضـــاها داخـــل أســـوار منصـــبه العســـكري فـــي قيـــادة الجـــيش النظـــامي ثـــم نظيـــره السياســـي فـــي المجلـــس الجمهـــوري عـــن تحقيـــق مبتغاهـــا المنشـــود فـــي اليـــوم الموعـــود و يحاصـــر أصـــحاب الأخـــدود بدباباتـــه إنقلابـــه الأبـــيض فـــي عقـــر دارهـــم علـــى حـــين غـــرة و غفلـــة مـــنهم ليســـلموا له مقاليد الأمور بصدر رحب و دونما إعتراض !

لقـــد كـــان حكـــام الشـــمال النوفمبريـــون و فـــي مقـــدمتهم الـــرئيس القاضـــي الإريـــاني علـــى علـــم مســـبق بمـــا ســـيحدث لاحقـــا و لا ســـيما إثـــر تصـــاعد اللغـــط الحـــاد حـــول إتفاقيـــة الحـــدود اليمنيـــة – الســـعودية ، إلا أنهـــم إعتبروهـــا مثـــل ســـابقاتها مـــن محـــاولات إنقلابيـــة يائســـة حســـب زعمهـــم ســـرعان مـــا ســـيتم إحتوائهـــا بهـــدوء تـــام عبـــر إســـتقالة رئـــيس الجمهوريـــة الشـــكلية أو إغـــراء قادتهـــا بـــالأموال أو المناصـــب الرفيعـــة أو تهديـــدهم

بجيوشهم القبلية الحديثة العهد و محاكمتهم عسكريا بتهمة الشيوعية أو العمالة للجنوب أو خطفهم قسريا في وضح النهار أو جنح الظلام قبل أن يكتشفوا خطأ تقديراتهم الساذجة عندما أخبرهم القاضي الإرياني بأنهم جادون هذه المرة في إقتلاعهم من جذورهم عبر إنقلاب دموي بشع يأكل الأخضر و اليابس دون أن يغمض لهم جفن من الندم أو الخوف و سحل من تبقى منهم على قيد الحياة في شوارع العاصمة إن لم يستجيبوا لهم على وجه السرعة ، و على إثر ذلك سرعان ما إستولى قادة الإنقلاب الجدد (أو حركة التصحيح كما يحلو لهم تسميتها) على مقرات الدولة المدنية و العسكرية في أرجاء المعمورة وعزلوا رئيس الجمهورية و حلوا حكومة حسن مكي و المجلس الجمهوري و البرلمان في غمضة عين و دون إراقة

قطـــرة دم واحـــدة منـــذ الـــدقائق الأولـــى لفجـــر الثالـــث عشر من يونيو من عام ١٩٧٤م .

شـــكل أبـــو نشـــوان مـــع زملائـــه المغمـــورين فـــي ســـلاحي المـــــدرعات و المظـــــلات الغشـــــمي و عمنـــــا و عبـــــد العـــالم أعلـــى ســـلطة فـــي الـــبلاد عرفـــت بمجلـــس قيـــادة حركـــة التصـــحيح أو مجلـــس القيـــادة كمـــا متعـــارف لـــدى عامـــة النـــاس الـــذين فوجئـــوا حينهـــا بـــأن ثلثـــي أعضـــائها رجعيـــون بالســـليقة و ولـــدوا مـــن رحـــم العهـــد النـــوفمبري البائـــد و بعضـــهم تـــورط فـــي القمـــع الوحشـــي للعناصـــر التقدميـــة اليســـارية و ســـكان مســـقط رأســـه المنـــاطق الوســـطى منـــذ أحـــداث أغســـطس الداميـــة حتـــى قيـــام الحركـــة كعمنـــا و الغشـــمي و خمـــيس و أبـــو شـــوارب ، فضـــلا عـــن عـــديم تحريكـــه ســـاكنا حيـــال مراكـــز القـــوى القبليـــة الفاســـدة الشـــيوخ الأحمـــر و أبـــو لحـــوم و أبـــو شـــوارب مكتفيـــا بإظهـــار غضـــبه علـــى ســـلفه القاضـــي الإريـــاني الـــذي نفـــاه إلـــى ســـوريا بعـــد عزلـــه مـــن رئاســـة

الجمهورية ليكون كبش الفداء الذي يضحي بنفسه في سبيل الآخرين و الشمعة البراقة التي تحترق إرضاء لهم بعدما ضاق ذرعا منهم و من فسادهم في البر و البحر و الجو و شرهم المستطير عليه و على غيره من المواطنين مما أوحى لهم بأنه لم يأت بجديد و نسخة مكررة من العهد النوفمبري البائد بمعنى آخر ديمة قلبوا بابها و هم الذين علقوا عليه أمالا عريضة بإزاحة عبء التركة الثقيلة من المشاكل و السلبيات التي ورثوها من النوفمبريين و فاقت نظكيراتها في العهد الإمامي عن كاهلهم و ينقذهم من مخالبه السامة دون أن يدروا بأن ما رأوه مسبقا مجرد هدوء حذر يسبق العاصفة التي ستعصف بهؤلاء الأشرار و تقتلع جذورهم العفنة عاجلا أم آجلا .

و قد بدأت فصول هذه العاصفة العاتية مع إعادة أبي نشوان هيكلة الجيش النظامي بشكل سليم و

حل جيوش القبائل الزيدية و تجريدها من أسلحتها الخفيفة و الثقيلة و تجنيد عناصرها في الجيش النظامي و قواته البرية ، ثم إعلانه قيام لجان أو هيئات شعبية تطوعية من قبل المواطنين لمساندته في حربه الضروس ضد الفساد المالي و الإداري داخل أجهزة الدولة المدنية و العسكرية و غياب سيادة الدولة و النظام و القانون و الإنتهاك السافر لوحدة الوطن و سلامة أراضيه ، و بعد ذلك قيامه بإنشاء المزيد من التعاونيات و هيئات التعاون الأهلي في أرجاء البلاد قاطبة لتسانده في تنفيذ مشاريعه الصناعية و الزراعية و الصحية و التعليمية و الخدمية و البنى التحتية ، و أخيرا إعلانه الوحدة الكونفيدرالية بين الشطرين عبر المجلس اليمني الأعلى منهيا الحرب العبثية بينهما طيلة خمس سنوات و الإشتباكات الحدودية بين الجيشين الشمالي و السعودي عامي ١٩٧٥م و ١٩٧٦م

التـــي إنتهـــت بإنتصـــار الجـــيش الشـــمالي ..... و غيرهـــا مـــن الإجـــراءات و القـــرارات الثوريـــة التـــى أغضـــبت و أرعبـــت فـــي الوقـــت ذاتـــه رؤوس الفســـاد النـــوفمبري الأحمـــر و أبـــو شـــوارب و أبـــو لحـــوم و كبيـــرهم الـــذي علمهـــم الســـحر حليفـــتهم الســـعودية ليبـــدأ صـــراعه المســـتعر معهـــم بدايـــة عهـــد التليـــد و ينتهـــي بإنتصـــاره المبـــين علـــيهم فـــي منتصـــف العـــام الثالث من حكمه الرشيد .

خـــاض أبـــو نشـــوان أولـــى معاركـــه بنجـــاح مـــع الشـــيخ الأحمـــر أكبـــر فاســـد فـــي الشـــمال و الـــيمن و الطائفـــة الزيديـــة و قبيلـــة حاشـــد قاطبـــة منـــذ الحـــرب الأهليـــة حتـــى وفاتـــه عـــام ٢٠٠٨م هـــو و عائلتـــه المشـــهورة بفســـادها و تعـــدد ولاءاتهـــا للخـــارج ، فهـــو حفيـــد ناصـــر بـــن مبخـــوت الأحمـــر الـــذي كـــان وراء إنتخـــاب الإمـــام يحيـــى حميـــد الـــدين زعيمـــا للطائفـــة الزيديـــة عـــام ١٩٠٤م بطريقـــة غيـــر مشـــروعة قبـــل أن يغـــدر بـــه الثـــاني

و يخمد فتنته النائمة إلى الأبد عام ١٩٢٤م و يجبره على الفرار إلى عسير المحكومة من قبل الأدارسة آنذاك إلي أن قضى نحبه هناك عام ١٩٣٠م ليحل إبنه حسين محله في مشيخة قبيلة حاشد و يظل على ولائه للنظام الإمامي قبل أن يعلن و إبنه الأكبر حميد تمردهما عليه و الإستيلاء على صنعاء معلنا نفسه إماما جديدا للشمال بوضع اليد مستغلا مكوث الإمام أحمد في عاصمته الجديدة تعز طوال الوقت و الذي ما إن علم بذلك التمرد حتى قلب ظهر المجن للقائمين عليه و إعتقلهم جميعا بعدما فتنتهم إلى الأبد و ذبحهم في ساحة الإعدام ذبح البعير الأجرب عام ١٩٦٠م ، أما هو فألقاه في غياهب السجون في حجة إلى أجل غير مسمى رغم صغر سنه و هو الذي ذاق مرارتها مذ كان رهينة لدى الإمام قبل أن يطلق ثوارنا الأحرار سراحه و سراح غيره من سجناء العهد

البائـــد صـــبيحة الثـــورة المباركـــة ! ليقابـــل معـــروفهم السـامي بـالنكران و الجحـود لمجـرد أنهـم لـم يمنحونـه السـلطة علـى طبـق مـن ذهـب كمـا كـان يمنـي نفسـه بـذلك بـل جعلـوه خاضـعا لحكـم واحـد مـنهم ينتمـي إلـي طبقـة إجتماعيـة أقـل شـأنا مـن طبقتـه الرفيعـة وفـق قـوانين طائفتـه المقدسـة !! حيـث بـاع نفسـه منـذ تلـك اللحظـة و مـازال حتـي وفاتـه للشـيطان و تحـول إلـى مرتـزق فاسـد لصـالح مـن يـدفع لـه أكثـر مـن الأطـراف المتصـارعة فـي الحـرب الأهليـة صـراع الديكـة بمـا يخـدم مصـالحه الشخصـية فحسـب ، فتـارة حينـا تـراه مـع الجمهـوريين و مـن تحـت الطاولـة مـع خصـومهم الملكيـين و تـارة أخـرى مـع المصـريين و حلفـائهم السـوفييت و الصـينيين و العـراقيين و الفرنسـيين و ذهـبهم الرنـان و مـن تحـت الطاولـة مـع خصـومهم السـعوديين و حلفـائهم الأمـريكيين و الإيـرانيين و

البريطـــــانيين و الإســـــرائيليين و أمـــــوالهم الطائلـــــة ..... و هلم جرا .

و لـم يكتـف بـذلك ، بـل عـرض خدماتـه الوضـيعة تلـك خـــلال مشـــاركاته الكرنفاليـــة فـــي مـــؤتمرات الســـلام المشـــبوهة الســـالفة الـــذكر التـــي كـــادت أن تـــؤدي إلـــى إلغـــاء النظـــام الجمهـــوري و إحـــلال العهـــد البائـــد محلـــه عـــام ١٩٦٦م ليظـــل علـــى هـــذا المنـــوال المشـــين حتـــى توليـــه منصـــب رئـــيس البرلمـــان فـــي العهـــد النـــوفمبري عـــام ١٩٦٨م حيـــث عكـــف علـــى إســـتغلاله أســـوأ إســـتغلال ليعيـــث مـــن خلالـــه فـــي الأرض فســـادا بوســـائل دنيئـــة غايـــة فـــي الحقـــارة هـــي ذاتهـــا التـــي إســـتخدمها إثـــر توليـــه منصـــب رئاســـة البرلمـــان إبـــان وحـدتنا المباركـة حتـى رحيلـه عـن دنيانـا إلـى غيـر رجعـة غيـــر مأســـوف عليـــه عنـــدما جنـــد حثالـــة أفـــراد قبيلتـــه حاشـــد عامـــة و عشـــيرته العصـــيمات خاصـــة جنـــودا تـابعين لـه يعلمـون لصـالحه ضـد مـن يعارضـه و يقـف لـه

بالمرصـــاد و ينهبـــون المـــال العـــام و أمـــلاك و أراضـــي الدولـــة بـــالقوة و تقـــديمها لـــه علـــى طبـــق مـــن ذهـــب و نشـــر الخـــراب و الـــدمار و الفوضـــى الأمنيـــة و المروريـــة و المظـــاهر المســـلحة و شـــريعة الغـــاب فـــي شـــوارع العاصـــمة صـــنعاء و أحيائهـــا القديمـــة و الحديثـــة علـــى حـــد ســـواء وصـــلت إلـــى حـــد مـــنحهم دون إنـــذار الحصـــانة القانونيـــة مـــن الملاحقـــة الأمنيـــة و القضـــائية فـــي حـــال إرتكـــابهم جـــرائم القتـــل و الســـرقة و الزنـــا و شـــرب الخمـــر و الإعتـــداء الجســـدي علـــى رجـــال المـــدنيين و العســـكريين أثنـــاء أداء وظـــائفهم الرســـمية و نهـــب الأراضـــي و البيـــوت و الأمـــلاك الخاصـــة و العامـــة دون وجـــه حـــق تحـــت ذريعـــة أنهـــم مـــن قبيلتـــه و يغيـــر علـــيهم مـــن أي مكـــروه جلـــل يصـــيبهم و هـــو عـــذر أقـــبح مـــن ذنـــب يغطـــي تحـــت ردائـــه الوســـخ الغـــرض الحقيقـــي مـــن إنتشـــارهم العفـــن حيـــث يعلـــم علـــم اليقـــين بـــأنهم محتقـــرون إجتماعيـــا و قبليـــا و منبـــوذين مـــن قبـــائلهم و

عشـــائرهم جـــراء أعمـــالهم المشـــينة أي لا أحـــد فـــي صـــفهم لا مـــن قريـــب أو مـــن بعيـــد و مـــع ذلـــك إســـتعان بهـــم لإذلال ســـكان صـــنعاء رجـــالا و نســـاء و أطفـــالا و تحويـــل مـــدينتهم البائســـة منـــذ أقـــدم العصـــور حتـــى وقتنـــا الحاضـــر إلـــى أضـــحوكة العواصـــم العربيـــة عـــن أعمـــالهم القـــذرة التـــي ينـــدى لهـــا الجبـــين تحـــت زعـــم أنهـــم شـــيوخ قبائـــل مـــن عليـــة القـــوم ..... و غيرهـــا مـــن الموبقـــات و المعاصـــي التـــي جهـــر بهـــا هـــذا المـــارق و دفعـــت أبـــا نشـــوان إلـــى الوقـــوف لـــه بالمرصـــاد و وضـــع حـــد لشـــره المســـتطير عـــام ١٩٧٥م و تجريـــده مـــن منصـــبه كـــرئيس للبرلمـــان إلـــى الأبـــد و مـــن أموالـــه الغيـــر مشـــروعة التـــي نهبهـــا مـــن الدولـــة و الشـــعب ظلمـــا و جـــورا و حـــل جيشـــه القبلـــي و جـــرده مـــن أســـلحته و ألقـــى مـــن تـــورط مـــنهم فـــي جـــرائم خارجـــة عـــن القـــانون فـــي الســـجون و طهـــر أجهـــزة الدولـــة المدنيـــة و

العسكرية من العناصر الموالية له و على رأسهم صهره العزيز الشيخ أبو شوارب ..... الخ.

لم يتحمل الشيخ الأحمر هذه الإصلاحات و الإجراءات الثورية الذي إتخذها المتفيقه بحقه ، حاول جاهدا تحريض القبائل الزيدية المتحالفة و المعادية على حد سواء ضد أبي نشوان و نظام حكمه دون أن يلقى أية إستجابة منها لخوفها الشديد من الأخير ، فقام بهجمات مسلحة على مؤسسات الدولة العسكرية و الأمنية في مسقط رأسه مدينة خمر بمحافظة عمران قبل أن يخمد الجيش بقيادة قائد سلاح المظلات عبدالله عبدالعالم فتنته إلى الأبد و يعتقله مع الشيخ أبو شوارب بعدما حاصروا منزله في العصيمات برا و جوا و جردوا عشيرته من أسلحتهم كافة و إعتقال المتورطين منهم عام ١٩٧٥م ، و لم يتعظ هو و صهره العزيز أبو شوارب مما سبق حتى بعد الإفراج

عنهما قبل نهاية العام بخمسة أشهر ، فتأمرا مع حليفتهما السعودية ضده قبل أن يحبط مؤامراتهما الدنيئة بحقه و يمنعهما من دخول البلاد بعد نفيهما إلى أرض الحرمين الشريفين عام ١٩٧٦م حيث واصلا معارضتهما له بحجة الدفاع عن الديمقراطية ضد ديكتاتوريته الفردية !

و لم يكن الشيخ أبو لحوم أقل من نظيريه السالفي الذكر ظلما و فسادا و جبروتا رغم عدائه القبلي المتوارث الشديد لهما حتى بعدما تحالف معهما ضد الإمام أحمد خلال إنتفاضة حاشد و بكيل السالفة الذكر قبل أن يخمدها الأخير بمنتهى الوحشية عام ١٩٥٩م و يقذف به إلى غياهب السجون عام ١٩٦٠م قبل أن يفرج عنه الثوار الأحرار صبيحة السادس و العشرين من سبتمبر ليسير على منوال شيوخ القبائل الزيدية في نفاقهم المثير للإشمئزاز حيال النظام الجمهوري و ثورته

السبتمبرية الخالدة و تآمرهم الخفي عليه لصالح خصومه الإماميين سعيا وراء مصالحهم الدنيئة ، هذا مع العلم أنه صهر المناضل الثوري ذو الميول البعثية و رئيس الوزراء السابق محسن العيني و شقيق الكاتبة الشهيرة و إحدى رائدات الأدب النسائي الحديث في اليمن عزيزة عبدالله و والد طبيب الأسنان الشهير و الأستاذ بكلية الطب في جامعة صنعاء ذو الميول الإخوانية د/ طارق أبو لحوم و إبن عم أحد الضباط الأحرار المقدم على أبو لحوم إلا أن الطبع غلاب و القبيلي يبقى قبيلي حتى و لو لبسوه جوخ و عمامة و توزه حسب تعبير والداي العنصري نحوهم لإعتبارات سلالية و طبقية فحسب .

المهم أن صاحبنا المذكور أعلاه لم يجد ضالته المنشودة سوى في العهد النوفمبري المبارك بعدما خاض غمار الحرب الأهلية يلعب على الحبلين بين

المعسكرين الجمهوري و الملكي و شارك مشاركة كرنفالية في مؤتمرات حرض و عمران و خمر للسلام الزائف ، و قد إتضحت معالمها الأساسية إثر تعيينه محافظا للحديدة عام ١٩٦٩م تكريما لدوره البطولي حسب زعمهم في ملحمة السبعين و أحداث أغسطس الدامية ملكا متوجا عليها يفعل بها و بأهلها ما يحلو له و يعيث فيها فسادا و يستأثر ب ٦٠% من خراج موانئها و أراضيها دون حسيب أو رقيب ، و لم يكتف بهذا فحسب ، بل سعى إلى زرع أبناء عمومته خاصة و قبيلته في أجهزة الدولة المدنية و العسكرية ليغرفوا من مالها العام دون حياء أو خجل .

ظل سكان هذه المحافظة الوادعة تحت رحمته و طغيانه الأرعن طيلة خمس سنوات عجاف كما لو كانوا عبيدا له و أرضهم مملوكة له و لسلالته من بعده دون أن يحركوا ساكنا نحوه أو يثوروا ضده

حتى بعد كارثة المجاعة الثانية و أصابتهم في مقتل في ظل حكومة صهره العزيز عام ١٩٧٣م لأن حكوماتهم الرشيدة بدورها لا تجروء على محاسبته و معاقبته و لو بشق بتمرة بعدما أفقدتهم الثقة بثورتهم المجيدة و هم الذين قاوموا ظلم المستعمرين الأتراك و الأئمة الزيديين بشراسة لا توصف و دفنوا جيوشهم في جوف سهولهم و أوديتهم التهامية المترامية الأطراف ، ليظلوا على هذا الحال البائس قبل أن يتنفسوا الصعداء و تعود ثقتهم بدولتهم السبتمبرية عندما عزل من منصبه و تجريده من الأموال و الأراضي و الممتلكات المنهوبة منهم عام ١٩٧٥م إلى جانب عزل صهره العزيز من رئاسة الوزراء و أبناء عمومته و قبيلته من مناصبهم القيادية في الدولة و كادوا أن يورثوها لأولادهم من بعدهم ، كما أنه جرد قبيلته بكيل من جيشها المسلح و أسلحته الثقيلة أسوة ببقية القبائل

الأخـــرى كبيرهـــا و صـــغيرها زيـــودا و شـــوافع .....
و غيرهـــا مـــن الإجـــراءات الثوريـــة التـــي قـــام بهـــا أبـــو نشـــوان نحـــو الشـــيخ أبـــو لحـــوم دون أن تثيـــر حفيظـــة الأخيـــر و مصـــابه الجلـــل فيمـــا ســـبق و يقـــوم بتحديـــه و محاربتـــــه بشـــــتى الوســـــائل و بـــــدعم مـــــن حلفائـــــه الإقليميـــين بـــل آثـــر الســـلامة و الصـــمت و إحنـــاء رأســـه فـــي مواجهـــة عاصـــفة التصـــحيح العاتيـــة ريثمـــا تهـــدأ و يســـهل الإنقضـــاض عليهـــا مـــن قبـــل القـــائمين عليهـــا دون زيـــادة أو نقصـــان ليصـــدق حدســـه هـــذه المـــرة عـــام ١٩٧٧م عنـــدما لقـــي عـــدوه اللـــدود مصـــرعه علـــى يـــد من يحبهم غدرا و عدوانا و هو في ريعان شبابه .

القنديل السادس

الشعب في خدمة الوطن

أدرك أبو نشوان أهمية الديمقراطية في بلد فقير بالموارد الطبيعية و البشرية يعاني من النعرات الطائفية و القبلية و المناطقية و مشاركة المواطنين في صنع القرار السياسي لتحقيق العدل و المساواة في توزيع الثروة و المناصب و لكن بشكل سليم و منسجمة مع ثقافة شعبه السياسية البسيطة ، و لأنه قارئ بارع لتاريخ اليمن القديم يستلهم منه ما يفيد حاضر بلاده و مستقبلها المشرق تبنى و إعتمد مبدأ الديمقراطية التعاونية بديلا للديمقراطية التقليدية لمشاركة المواطنين في صنع القرار السياسي و لكن بعد فرضه سيادة الدولة و النظام و القانون في الشمال أولا ثم الحفاظ على وحدة وطنه الشمالي و سلامة أراضيه ثانيا عام ١٩٧٥م حتى

يتحقق هذا الغرض المنشود على أرض صلبة لا تتزحزح قيد أنملة .

كانت أول خطوة إتخذها بخصوص هذا الشأن يتمثل بتكوين لجان التصحيح المالي و الإداري و التي عبرت بصدق عن التعاون الوثيق بين المواطنين و السلطة القضائية حيث تشكلت بشكل تطوعي من قبل المواطنين و الموظفين الحكوميين الغيورين على الوطن و الدولة و أجهزتها المدنية و العسكرية و القضائية (بمن فيهم رؤساء المحاكم الإبتدائية و وكلاء النيابة) لمحاربة الفساد المالي و الإداري و ملاحقة الفاسدين و المرتشين فيهما و التحقيق معهم و محاكمتهم وفقا للأدلة القاطعة نوعا ما التي بحوزة أعضائها المتحمسين بسرعة البرق دون التقيد الصارم بإجراءات التقاضي الرسمية البيروقراطية المفتعلة قيد أنملة ، و على الرغم من كونها لجان تطوعية و يتم إختيار أعضائها بالتزكية

لا بالإنتخـــاب إلا أنهـــا ظلـــت تحـــت إشـــراف رئـــيس الجمهوريـــة عـــن طريـــق رئـــيس اللجنـــة العليـــا للتصـــحيح المـــالي و الإداري و الـــذي كـــان يـــديرها مـــن خـــلال مقـــر عملـــه التقليـــدي الصـــنعاني الطـــراز الكـــائن فـــي حـــي الحصـــبة بـــالقرب مـــن جولـــة مـــازدا (قبـــل أن يصـــبح لحـــــزب المـــــؤتمر الحـــــاكم عـــــام ١٩٨٣م) دون أن يتـــدخل فـــي أعمالهـــا بتاتـــا إلا فـــي أضـــيق الحـــدود ، و مـــع ذلـــك فلقـــد أثمـــرت إصـــلاحاتها الفوريـــة عـــن تطهيـــر شـــامل لأجهـــزة الدولـــة المدنيـــة و العســـكرية و الأمنيـــة و القضـــائية مـــن الفاســـدين و أعـــوانهم رغـــم علـــو شـــأنهم و قـــدرهم فـــي المجتمـــع و تجريـــدهم مـــن الأمـــوال التـــي نهبوهـــا مـــن الشـــعب و بلغـــت رقمـــا خرافيـــا تجـــاوز الأربعـــة عشـــر مليـــار دولار (٥٦ مليـــار ريال) حيـــث إنفقـــت الحكومـــة معظمهـــا فـــي تطـــوير و نهضـــة و تعميـــر الشـــمال علـــى كافـــة الأصـــعدة و محاربـــة الفقـــر و البطالـــة و الجهـــل و المـــرض بـــين ســـكانها بمختلـــف

مشـــاربها و تســـديد الـــديون الخارجيـــة التـــي أثقلـــت كاهلهـــا لأعـــوام مضـــت ، مازلـــت أتـــذكر مـــا قالـــه أبـــي عـــن هـــذه اللجـــان و قوتهـــا النافـــذة التـــي لا يســـتهان بهـــا و لاســـيما أنـــه كـــان واحـــدا مـــن العـــاملين رغمـــا عنـــه تحـــت رايـــة رئيســـه وزيـــر الإقتصـــاد آنـــذاك محمـــد جبـــاري و كيـــف كـــان يشـــعر الفاســـدين ماليـــا و إداريـــا بالرعـــب و تقشـــعر أبـــدانهم لـــدى ســـماعهم بقـــدومها إلـــيهم مـــا دفـــع الـــبعض مـــنهم إلـــى الفـــرار بأموالـــه الغيـــر مشـــروعة منهـــا إلـــى خـــارج الـــبلاد ، و كيـــف تـــم تســـديد الـــديون الخارجيـــة مـــن الأمـــوال التـــي تـــم إســـترادادها مـــن أولئـــك الفاســـدين و إمـــتلاء خزينـــة الدولـــة العامةوصـــلت إلـــى حـــد دفعـــت أبـــو نشـــوان إلـــى إقـــراض البنـــك الـــدولي فـــي عهـــد رئيســـه ماكنمـــارا (كـــان وزيـــر الـــدفاع الأمريكـــي (١٩٥٧-١٩٦١م) خـــلال عهـــد الـــرئيس إيزنهـــاور (١٩٥٣-١٩٦١م)) عام ١٩٧٧م !

أمـــا الخطـــوة التاليـــة و التـــي دشـــنها أبـــو نشـــوان قبيـــل إســـتيلائه علـــى الســـلطة بعـــام واحـــدة فقـــط فتمثلـــت بهيئـــات التعـــاون الأهلـــي المعبـــرة بصـــدق عـــن التعـــاون الوثيـــق بـــين الســـلطة التنفيذيـــة و المـــواطنين حيـــث خففـــت العـــبء عـــن كاهـــل الحكومـــة أضـــعافا مضـــاعفة و لا ســـيما فيمـــا يتعلـــق برباـــاعي التنميـــة الأساســـي المكـــون مـــن الزراعـــة و الصـــناعة و الصـــحة و التعلـــيم و شـــعارها الأثيـــر الموغـــل فـــي القـــدم جـــيلا بعـــد جيـــل (نأكـــل ممـــا نـــزرع و نلـــبس ممـــا نصـــنع ، و العقـــل السليم في الجسم السليم) .

فكمـــا أســـلفنا مـــن قبـــل بأنهـــا عبـــارة عـــن لجـــان شـــعبية تطوعيـــة يســـود روح التعـــاون الوثيـــق بعيـــدا عـــن المزايـــدات السياســـية العفنـــة و الإجـــراءات و يـــتم إختيـــار أعضـــائها بالتزكيـــة لا بالإنتخـــاب مـــن قبـــل أبنـــاء قـــراهم و مـــدنهم و وحـــداتهم الإداريـــة الأخـــري صـــغيرة كانـــت أم كبيـــرة بغـــض النظـــر عـــن إنتمـــاءاتهم

الإجتماعيـــة و الطائفيـــة و القبليـــة و المناطقيـــة و تتـــولى حـــل مشـــاكل مناطقهـــا اليوميـــة علـــى كافـــة الأصـــعدة ضـــمن حـــدود إمكانياتهـــا و أموالهـــا المتواضـــعة و إن كانـــت ميزانيـــة الواحـــدة منهـــا تفـــوق ميزانيـــة محافظـــة بأكملهـــا دون أن تنفـــذ و دون أن تكلـــف الدولـــة قرشـــا واحـــدا مـــن ميزانيتهـــا الضـــعيفة آنـــذاك رغـــم أن مصـــادر تمويلهـــا آتيـــة مـــن تبرعـــات المـــواطنين و مغتـــربيهم فـــي الخـــارج و لا ســـيما دول الـــنفط العربيـــة و أربـــاح البنـــك الأهلـــي التعـــاوني التـــابع لهـــم منـــذ عـــام ١٩٧٧م و ذلـــك يعـــود إلـــى خلوهـــا مـــن أمـــراض الفســـاد المـــالي و الإداري و الرشـــوة و المحســـوبية التـــي مازالـــت دوائرنـــا الحكوميـــة تعـــاني منهـــا حتـــى وقتنـــا الحاضـــر لأنهـــا تـــؤدي أعمالهـــا الإداريـــة بمنتهـــى البســـاطة و لا يفصـــلها بينهـــا و بـــين النـــاس حـــواجز بيروقراطيـــة مفتعلـــة و لا تسلســـل وظيفي معقد يعقد الأمور .

و قد أثمرت جهود التعاونيات المضنية على قدم و ساق عن سحب البساط من أقدام العقال و شيوخ القبائل و السادة الهاشميين و غيرهم من القوى التقليدية الجاثمة على صدور سكان بكافة و قبائلهم و جبالهم الوعرة و سهولهم المنبسطة و صحاريهم القاحلة لقرون طوال و إذابة الفوارق الإجتماعية و الطبقية بينهم بملء إرادتهم يجمعهم شعار (العمل قيمة إجتماعية في سبيل الله و الوطن و الثورة) و محاربة الفقر و المرض و الجهل و تحقيق نهضة صناعية و زراعية و تعليمية و صحية و ثقافية و علمية و تكنولوجية و خدمية على الأرض عبر إنشاء مئات المصانع و المزارع و المدارس و المستشفيات و الطرق الإسفلتية و الجسور و الملاعب و محطات الكهرباء و الهاتف و مشاريع المياه و مختبرات علمية و فنادق و شركات زراعية و صناعية و تجارية لمساعدة المزارعين و مساكن

لـــذوي الـــدخل المحـــدود و تطبيـــق أهـــداف الثـــورة السبتمبرية الخالدة بحذافيرها ..... الخ .

و لـــم تنجـــو الســـلطة التشـــريعية مـــن أفكـــار أبـــي نشـــوان الجهنميـــة لتطهيـــر شـــرفها الملطـــخ بعـــار فســـاده المستشـــري منـــذ العهـــد النـــوفمبري عبـــر تعاونهـــا الوثيـــق مـــع المـــؤتمر الشـــعبي العـــام و تحـــت إشـــرافه أيضـــا ، فعلـــى الـــرغم مـــن حلـــه لمجلـــس الشـــورى فـــي العـــام الثـــاني مـــن حكمـــه إلا أنـــه قـــرر إعـــادة الحيـــاة النيابيـــة مـــن جديـــد و لكـــن بثـــوب جديـــد حـــاك خيوطهـــا هـــذه المـــرة مـــن نســـيج العقيـــدتين الناصـــرية فـــي مصـــر و الخضـــراء فـــي ليبيـــا لا مـــن تـــراث آبائـــه و أجـــداده الحميـــريين مـــع بعـــض التعـــديلات المحليـــة تمثـــل بمجلـــس الشـــعب التأسيســـي و المـــؤتمر الشـــعبي العـــام و إن قـــدر لهمـــا أن يولـــدا فـــي عهـــد خلفـــه الغشـــمي عـــام ١٩٧٨م ، فـــالأول يمـــارس الســـلطة التشـــريعية بشـــكل روتينـــي بيروقراطـــي عـــن طريـــق نوابـــه المختـــارين مـــن قبـــل

التعاونيات بالتزكية ، أما الثاني فيمارس السلطة التشريعية بعيدا عن البيروقراطية و الروتين عن طريق أعضائه المختارين من قبل التعاونيات بالتزكية أيضا ، أرايت أيها المارد ؟ يختارون أعضاء البرلمان بالتزكية ؟ و عن طريق من ؟ عن طريق المجالس المحلية المختارة من قبل الشعب بالتزكية أيضا ؟ هل هناك بلد في العالم يشكل برلمانه بهذا الطريقة سوانا ؟ لا. أحد ، لا أحد أيها المارد لا أحد ، لكن هذه التشكيلة البرلمانية الغريبة أثمرت عن ديمقراطية سليمة نوعا ما و مناسبة لعقلية شعبنا البسيطة الساذجة فاقت في جودتها ديمقراطية النوفمبريين و ديمقراطية وحدتنا المباركة الهزليتين العديمتي الفائدة بأشواط عديدة حتى بعد تحويل عمنا المؤتمر الشعبي العام إلى حزب سياسي حاكم عام ١٩٨٢م .

القنديل السابع

التنمية الشاملة

سرحت ببصري نحو الأفق البعيد أتنشق هواؤه العليل و أتأمل مدينة تعز الساحرة من على قمة جبل صبر في ذلك الصيف الحار من عام ١٩٩٦م قرب أطلال أول تلفريك في الشمال لم يكتمل بعد أو بالأصح أهال عمنا التراب عليه عام ١٩٨٠م بعد مرور ست سنوات على وضع حجر أساسه دون أن يعرف السبب و إن كان معروفا لدى الجميع دون أن يجرؤ أحدا منهم على التفوه به ألا و هو محو أي عمل مفيد قام بها أبو نشوان لصالح هذه البلاد الجحود منذ القدم .

لقد كان مشروع تلفريك تعز ضمن جيش ضخم من المشاريع التنموية التي وضعها أبو نشوان ضمن خطته الخمسية الأولى شملت بين طياتها الصناعة

و الزراعة و الصحة و التعليم و المواصلات و النقل حيث حازت تعز على نصيب الأسد فيها من شدة حبه لها و لطبيعتها المتحضرة و المتمدنة و لكونها أكبر محافظة في الشمال من حيث عدد السكان و المبدعين و الكوادر الوظيفية و القوى العاملة ، فلا غرو أن إختارها الأمام أحمد عاصمة للبلاد طوال فترة حكمه قبل أن تفقدها على يد الثوار السبتمبريين لصالح نظيرتها الهمجية العديمة الفائدة بتحريض من المسئولين الزيديين في حكومة العهد البائد الموالين لهم الذين لم يتقبلوا من قلبهم أن يكونوا تحت رحمة هذه المدينة و سكانها الغير المنتمين لطائفتهم المقدسة حسب زعمهم ليضعوا المدينة الغير مناسبة في المكان الغير مناسب .

عموما ، أحدثت خطته الخمسية هذه و التي تعد الأولى من نوعها نهضة حضارية و عمرانية منقطعة النظير في البلاد حيث أدخل للمرة الأولى صناعات

الحديـــــد و الصـــــلب و الســـــيارات و الســـــفن و الإلكترونيـــــات و الأجهـــــزة الكهربائيـــــة و الملابـــــس الجـــــاهزة و الجـــــرارات الزراعيـــــة و الأدوات المنزليـــــة و الزراعيـــــة و الـــــدراجات الناريـــــة و تعليـــــب الأســـــماك و الإســـــمنت إلـــــى الشـــــمال دون أن تكـــــون علـــــى حســـــاب نظيراتهـــــا القديمـــــة مـــــن صـــــناعة القهـــــوة و الـــــبن و الشـــــاي و الغـــــزل و النســـــيج و الصـــــناعات الغذائيـــــة و الجلديـــــة و الخشـــــبية و صـــــناعة الألمنيـــــوم و الأدوات المنزليـــــة المحتفظـــــة بحصـــــتها الـــــوفيرة إلـــــى حـــــد مـــــا مـــــن مشـــــاريعها الصـــــناعية الجديـــــدة بـــــأمر منـــــه طبعـــــا ! نفـــــس الأمـــــر ينطبـــــق علـــــى مشـــــاريع المواصـــــلات و النقـــــل و لا ســـــيما الســـــكك الحديديـــــة التـــــي كانـــــت علـــــى مـــــا يبـــــدو جديـــــدة علـــــى بنـــــي قـــــومي و يجهلـــــون أهميتهـــــا رغـــــم معـــــرفتهم بهـــــا و بقيمتهـــــا الإقتصـــــادية منـــــذ الأزل ، كيـــــف و لا و قـــــد شـــــهدت بلادنـــــا مـــــيلاد أول ســـــكة حديـــــد تمتـــــد مـــــن جبـــــال العاصـــــمة صـــــنعاء حتـــــى شـــــواطئ ميـــــناء

الحديـــدة بناهـــا المســـتعمرون الأتـــراك فـــي عهـــد ســـلطانهم الراحـــل عبدالحميـــد قبـــل أن نقـــوم بتخريبـــه بـــأمر مـــن إمامنـــا المعظـــم يحيـــى الهمـــام دون ســـابق إنـــذار إثـــر نيلنـــا الإســـتقلال مـــن دولـــتهم العليـــة بســـتة أعـــوام ؟ و لكـــي نبعـــد تهمـــة تخريبهـــا عنـــا زعمنـــا أن البريطـــانيين المحتلـــون للحديـــدة خـــلال الحـــرب العالميـــة الأولـــى حتـــى عـــام ١٩٢٠م هـــم دمرهـــا شـــر تـــدمير ؟! و لعـــل بقايـــا ســـكة الحديـــد العثمانيـــة التـــي شـــاهدت أشـــلاءها بـــالقرب مـــن مدينـــة حـــيس أثنـــاء عملـــي متطوعـــا فـــي فـــرق التعـــداد الســـكاني هنـــاك عـــام ٢٠٠٤م لخيـــر دليـــل على تزويرنا للتاريخ دون حياء أو خجل .

ســـعى أبـــو نشـــوان إلـــى وضـــع حجـــر الأســـاس لشـــبكة الســـكك الحديديـــة فـــي محافظـــة تعـــز كمرحلـــة أولـــى ثـــم فـــي محافظـــة الحديـــدة كمرحلـــة ثانيـــة و بعـــد ذلـــك فـــي محافظـــة إب كمرحلـــة ثالثـــة و أخيـــرا فـــي محافظـــة صـــنعاء مـــا أثـــار إســـتغرابي مـــن هـــذا التسلســـل التـــدريجي

اللامنطقي لهذا المشروع الهام الذي يجعل العاصمة في مؤخرته لا العكس ؟ هناك من يبرر ذلك بتكاليفه الباهظة و التي ستزداد لو دشن من صنعاء المعروفة بطبيعتها الوعرة الصعبة المراس رغم أنها رضخت لتعبيدها بالطرق الإسفلتية منذ ستينات القرن العشرين ، و هناك من يبرر هذا بأن مجتمعات تعز و الحديدة و إب مجتمعات متمدنة و متحضرة على مر العصور ما يجعل مهمة تنفيذه سهلة و بأقل التكاليف الممكنة عكس صنعاء المعروفة بهجميتها القبلية البدائية المسلحة قبل أن يخضعها أبا نشوان لسيادة الدولة و القانون و يعيدها إلى حظيرتها مجددا ، و لو شاء أن يبدأ العمل فيه إنطلاقا منها لفعل و أنجزه في الموعد المحدد بالتو و اللحظة دون أن يحرك الصنعانيون ساكنا ، لكن غرامه الشديد بتعز و أهلها الطيبين أسوة بسلفه الإمام أحمد دفعه إلى الإهتمام بها أيما إهتمام دون أن

يبخل بماله و جهده عليها وصل إلى حد إعادة الحياة لعاصمة البن مدينة المخا و مينائها العريق و حيث بناها بشكل متطور و حديث بأرصفة حاويات صالحة لرسو السفن و صوامع غلال لتخزين الحبوب الصادر منها و الوارد .

كما أنه لم ينس حظ الزراعة و نصيبها الوافر من خطته الخمسية عندما أقام المشاريع الزراعية الكبرى حول مجاري الأودية الخصبة بمحافظات تعز و الحديدة و إب و مأرب و صعدة و صنعاء و المحويت و حجة و ذمار تضم بين طياتها سدودا للري و مراكز علمية للإبحاث الزراعية و العيادات البيطرية و مزارع المواشي و الدواجن النموذجية و مزارع نموذجية للفواكه و الخضروات و البقوليات و الحبوب و المزارع السمكية بغية تحقيق الإكتفاء الذاتي للبلاد فيما سبق في المنظور القريب قبل أن يطويها النسيان و تضحى في خبر كان بعدما وارها

عمنا الثرى خلال العقد الأول من وحدتنا المباركة رغم أن بعضها ظل راسخا في مخيلتي و أبناء جيلي ردحا من الزمن حيث لم أنس مذاق حليب رصابة الطازج إلى حد ما منذ نعومة أظافري رغم أنه أقل جودة من مشروبي المفضل حليب يماني ، حيث كان والدي يرفد بيتنا بكراتين محملة بها مجانا كعادته من مزارعها النموذجية بغرب ذمار عن طريق مدير التسويق فيها صديقه و زميل الدراسة الجامعية بالجزائر المهندس حازم رغم رخص ثمنها و توافرها في السوق بكميات كبيرة ، كما لم أنس أيضا مشروعي وادي سهام و سردود الزراعيين في قلب محافظة الحديدة من كثرة التغطيات الإعلامية الحكومية إلى حد الإسراف حولهما طوال نشرات الأخبار و حلقات برنامج الزراعة و الفلاح و لاسيما تغطيتهما لمهرجان وادي سهام الثقافي و الأدبي الذي تابعت فصوله بدقة خلال ليالي صيف

١٩٨٥م رغم رداءة التصوير السينمائي الخارجي لها و أنا أرى الشعراء يمنيون و عرب يلقون قصائدهم الحماسية الرنانة في حضرة عمنا و تقام المسابقات الثقافية و الرياضية على شرفه الرفيع !

أما مشاريع البنى التحتية و السكنية فحدث و لا حرج حيث قطعت الدولة أشواطا كبيرة فيها تمثلت في إنشاء العديد من الجسور و الطرق الإسفلتية و السدود في محافظات صنعاء و تعز و الحديدة و إب و مأرب كسد مأرب العظيم الذي تم إحيائه من جديد منذ وضع حجر أساسه عام ١٩٧٦م و تم إفتتاحه بعد عشر سنوات و جسور وادي سردود و سهام في محافظة الحديدة و المدن السكنية الخاصة بالموظفين و العمال و ذوي الدخل المحدود في المدن الرئيسية و عواصم المحافظات كمدينة الخرافي السكنية و المدينة الليبية اللتان تعدان من المعالم الرئيسية لصنعاء الجديدة و

الحديثة منذ عام ١٩٧٥م و مدن الأصبحي السكنية في تعز و الحديدة و مدينة سعوان السكنية في صنعاء التي كان من المفترض على والدي العزيز أن يستلم منزله الجديد المجهز بكافة المرافق الخدمية و الكمالية فيها قبل أن يغير رأيه و يستغني عن رخائها المقيم و يستبدلها بأرض جرداء في منطقة ريفية غير صالحة للإستثمار السكني الحديث و أطلق عليها مجازا حي الجراف دون أن يعرف السبب و إن كان العامل الطائفي يلعب دورا محوريا فيما أقدم عليه من إختيار غير سليم للسكنى مازلنا نكتوي من ناره السموم إلى يوم الدين .

الغريب أن الخطة الخمسية هي نتاج إسهامات مشتركة للإستثمارات الأجنبية و المحلية و القطاع العام و القطاع الخاص و القطاع المختلط و التعاونيات فيما بات يعرف بالتعاون الإستثماري ، و

الأغـــرب أن الدولـــة بـــدأت العمـــل فـــي هـــذه المشـــاريع الهائلـــة بســـرعة البـــرق علـــى قـــدم و ســـاق دون قيـــد أو شـــرط أو عرقلـــة الـــدوائر البيروقراطيـــة المفتعلـــة لهـــا ، و الأكثـــر غرابـــة مـــن ذلـــك أنـــه رغـــم حماســـة الدولـــة المفرطـــة لتنفيـــذ هـــذه المشـــاريع فإنهـــا لـــم تنفـــذ ســـوى ٥٪ منهـــا فقـــط و لاســـيما بعـــد إستشـــهاد أبـــو نشـــوان مباشرة .

القنديل الثامن

دولة النظام و القانون

مازلت أتذكر ما رواه لي والدي العزيز خلال إحدى جلساته العائلية النادرة معنا و لا سيما خلال مضغه مع والدتي القات و تدخين المداعة بنهم شديدين بالقرب من درج الباب الشرقي وسط الباحة الخلفية للمنزل تحت ضوء القمر المنير في الليلة الظلماء من ليالي صيف ١٩٩١م الحار عن الخطبة النارية التي ألقاها أبو نشوان أمامهم داخل مقر اللجنة العليا للتصحيح الكائن بجولة مازدا لحظة إفتتاحها ربيع ١٩٧٥م و وجدت كلماتها الحماسية صدى في هواه الثوري آنذاك (أنتم تعرفوا ما هي مشكلة بلادنا أساسا ؟ مشكلتها إن الناس فيها ما يشتوش ديمقراطية و لا إنتخابات و لا جيش و لا زلط و لا هدار و داوي ، كل هذولا الذي ذكرتهم عيتحققين لهم لما نحقق لهم الذي يشتوه ، يشتوا دولة ساع

الناس تخليهم أوادم ساع الناس ، تتطبق القانون و النظام بموجب أهداف ثورتنا المجيدة على الكل من غير إستثناء أو مجاملة لأي واحد ، تحارب الفقر و المرض و الجهل و الظلم و الفساد بكافة أشكالهم بين الناس من غير رحمة و لا شفقة و تحل مشاكلهم بمنتهى في ساع و من غير تأخير و لا يخلوها من غير حل بالعاني مجاملة لحد)

سرعان ما أدركت من خلال سطورها الملتهبة جوهر حركته الحزيرانية التصحيحية منذ اللحظة الأولى ألا و هو تطبيق دولة النظام و القانون بموجب أهداف الثورة السبتمبرية الستة على كامل التراب الشمالي بحذافيره .

و كان أول الغيث في هذا الموضوع الشائك قطرة إنهمر سيلها الجارف على المؤسستين العسكرية و الأمنية و طهرت ساحتهما من العناصر و القيادات الفاسدة التي لطخت شرفهما بعارهم و فسادهم

المـــــالي و الإداري و ولاءتهـــــم القبليـــــة و الطائفيـــــة و المناطقيـــة و الحزبيـــة الضـــيقة لمـــن يـــدفع لهـــم أكثـــر علـــى حســـاب ولائهـــم الأكبـــر للدولـــة و الـــوطن ، و هـــذا مـــا لاحظـــه أبـــو نشـــوان خـــلال جولاتـــه التفتيشـــية الســـرية التـــي كـــان يقـــوم بهـــا خـــلال عامـــه الأول فـــي الحكـــم لجـــس نـــبض الوضـــع الأمنـــي و المـــروري فـــي شـــوارع العاصـــمة كمـــا رواهـــا لـــي صـــديقي عـــارف داخـــل الحـــرم الجـــامعي نقـــلا عـــن والـــده ضـــابط المـــرور المتقاعـــد و الـــذي كـــان يعمـــل فـــي قســـم العلفـــي حينـــذاك عنـــدما تنكـــر تـــارة بشخصـــية شـــيخ قبيلـــة و عضـــو فـــي البرلمـــان و تـــارة أخـــرى علـــى هيئـــة ضـــابط رفيـــع المســـتوى فـــي الشـــرطة العســـكرية ، ففـــي الأولـــى تعمـــد قيـــادة ســـيارة شـــاص موديـــل قـــديم تعـــود إلـــى عـــام ١٩٦٣م (العـــام الـــذي فتحـــت الأبـــواب علـــى مصـــراعيها لـــدخول الســـيارات بكافـــة أنواعهـــا إلـــى الشـــمال للمـــرة الأولـــى) بشـــكل طـــائش دون حيـــاء أو خجـــل وســـط شـــارع عبـــد

المغني المزدحم وقت الذروة خلال الظهر لقربه الشديد من قلب المدينة التجاري الكائن بميدان التحرير من جهة و أسواق باب السبح و الرادع الشعبية في صنعاء القديمة من جهة أخرى قبل أن يوقفه ضابط مرور يدعى وجيه وسط جولة القيادة و يقبض عليه هو و مرافقيه المسلحين غير مكترث لتهديداته و وعده و وعيده النارية التي وصلت عنان السماء و لم يرضخ للهيبها المرعب سوى رئيس الضابط المذكور سلفا في العمل و رئيس قسم شرطة الحرقان الفاسد الذي أفرج عن أبي نشوان و رجاله ليكون مصيره على يد الأخير العزل من منصبه و حلول الضابط المخلص وجيه محله تقديرا لإخلاصه و نزاهته المهنية ، أما الثانية فحدثت في إحدى شوارع قاع العلفي الحديثة العهد بالبناء عندما قطع بسيارته العسكرية إشارة رجل المرور المدعو صالح بالوقوف دون حياء أو خجل دون أن

يكتــرث الأول لــه أو يطــارده بدراجتــه النارية أو يســجل لــه مخالفــة مرورية عكــس زميلــه المــدعو مقبــل فــي النوبــة المســائية الــذي طــارده حتــى إعتقالــه فــي جولــة كنتــاكي ليكــون جــزاؤه تعيينــه مــدير لمــرور العلفــي رســميا تقــديرا لنزاهتــه المهنيــة ، أمــا صــالح فأحيــل للتحقيــق بتهمــة إثــارة الفوضــى الأمنيــة و المروريــة بشــكل مفتعــل مقابــل مبــالغ ماليــة فــي شــوارع العاصــمة حيــث كشــف المحققــون بالــدليل القــاطع أنــه لــم يرتكــب هــذا الجــرم فــي قــاع العلفــي فحســب بــل تعــداه إلــى مواقــع أخــرى فــي العاصــمة و ضــواحيها لــم تســلم مــن شــره المســتطير طــوال ثلاثــة أعــوام مضــت ليكشــف أبــو نشــوان أن الســبب الحقيقــي للفوضــى الأمنيــة و المروريــة فــي بــلاده و تحويلهــا إلــى غابــة ظلمــاء مــن الوحــوش المفترســة يلــتهم القــوي منهــا الضــعيف دون رحمــة أو شــفقة هــم رجــال الأمــن الفاســدين صــغيرهم و كبيــرهم الــذين ينهشــون فــي لحمهــا دون حيــاء أو

خجل ليقوم بتطهير المؤسسات الأمنية و المرورية من أمثالهم إلى غير رجعة و إستبدالهم بأناس شرفاء حريصين أشد الحرص على فرض الأمن و الأمان في أرجاء البلاد و تطبيق القانون على الجميع بلا إستثناء أو محاباة لأحد مهما كان قدره الرفيع في الدولة و المجتمع و غيورين أشد الغيرة على وطنهم ضد من تسول له نفسه المساس بأمنه و وحدته و سلامة أراضيه من الداخل و الخارج .

و لأنه قاض و رجل قانون مخضرم و ألم إلماما كبيرا بالسلطة القضائية البدائية في بلاده منذ ريعان شبابه رغم الفترة الوجيزة التي قضاها بين أورقتها و دهاليزها السرابية فإنه لم ينس حظها الوافر من حركته التصحيحية حيث طهر جهازها الإداري من موظفيها و وكلاء نيابتها و قضاتها الفاسدين و لاسيما الذين ورثوا مناصبهم لأولادهم و أحفادهم و ضمن بينهم والده العزيز و أزال الإجراءات

البيروقراطية المفتعلة منذ قرون خلت و عرقلت سير العدالة و إعادة الحقوق لأصحابها ردحا من الزمن ، إلى جانب إنشائه للجهاز المركزي للرقابة و المحاسبة عام ١٩٧٤م كي يساعد العدالة و القضاء في مكافحتهما الحثيثة للفساد المالي و الإداري بما لديه من سلطات واسعة تخوله للتحقيق هذا الغرض المنشود ، علاوة على إعادة هيكلة نظام التقاضي في البلاد بحيث تنتهي بالدرجة النهائية الكبرى المتمثلة بالنائب العام و المحكمة العليا التي حلت محل محكمة الإستئناف الموجودة في العاصمة صنعاء منذ عهد مؤسسيها المستعمرين الأتراك حتى عام ١٩٧٥م و يتم على إثر ذلك إنشاء نيابات و محاكم الإستئناف في عواصم المحافظات بإعتبارهن الدرجة النهائية الصغرى في هذا النظام ، فضلا عن إلغائه لمهنة وكيل الشريعة البدائية التي عفا عليها الزمن و إستبدالها بمهنة

المحـــامي (التـــي لا يعتـــرف الشـــماليون بهـــا أصـــلا دون أن يعـــرف الســـبب) بموجـــب قـــانون المحامـــاة الصـــادر عـــام ١٩٧٦م ، أمـــا أعظـــم إنجازاتـــه التشـــريعية فتتمثـــل بالقـــانون المـــدني و تقنـــين الشـــريعة الإســـلامية ، فـــالأول يعتبـــر بمثابـــة دســـتور ســـلوكي علمـــاني علـــى غـــرار نظيـــره الفرنســـي النـــابليوني و لكـــن بقالـــب محلـــي يرســـخ قـــيم التحضـــر و التمـــدن بعقـــول الشـــماليين الغـــارقين فـــي همجيـــتهم القروســـطية لقـــرون طـــوال و يلتزمـــون بقيمهـــا التقدميـــة الحداثيـــة رغـــم تحـــولات الأزمنـــة و تقلبـــات العصـــور و إخـــتلاف البشـــر و ميـــولهم السياســـية داخـــل بلادهـــم علـــى كافـــة الأصـــعدة حيـــث إعتبـــر تطبيقهـــا علـــى جميـــع أفـــراد شـــعبه أهـــم مـــن أي دســـتور أو نظـــام أساســـي تقـــره الســـلطة التشـــريعية و يوافـــق عليـــه المواطنـــون فـــي إســـتفتاء عـــام ، أمـــا الثـــاني فهـــو تكملـــة للقـــانون المـــدني يتمحـــور حـــول فهـــم الدولـــة للإســـلام بشـــكل حـــداثي يتناســـب مـــع متطلبـــات العصـــر الـــراهن

حيث إستبدل الشريعة الإسلامية القديمة السائدة في عهد رسولنا الكريم (ص) بنظيرتها الجديدة التي تمسكت بجوهر الإسلام و تخلت عن قشوره الشكلية بإعتباره ولي الأمر الأدرى بتطبيق تعاليم الإسلام في الكتاب و السنة نيابة عن الحق تبارك و تعالى و رسوله الكريم (ص) بما يتفق مع مقاصد الشرع و مصالح المسلمين الداخلية و الخارجية ، إلى جانب أن الحدود الشرعية القديمة كانت تطبق على الفقراء و المساكين الذين لا سند لهم يحميهم فقط دون علية القوم و أشرافهم و مراكز القوى الفاسدة ما يتنافى مع روح قانون العقوبات في الإسلام الذي يؤكد على تطبيق الحدود على الجميع بلا إستثناء و إذا طبقت على أناس دون غيرهم من المذنبين إعتبرت باطلة ، فلقد أضحى في عهده الميمون الخالي من الجرائم و المجرمين السارق بالسجن بدلا من قطع يده و الزاني و الزانية

و شـــارب الخمـــر يعـــاقبون بالســـجن بـــدلا مـــن الجلـــد و القتلـــة و قطـــاع الطـــرق بالســـجن أو الإعـــدام رميـــا بالرصـــاص بـــدلا مـــن قطـــع رؤوســـهم و بتـــر أطـــرافهم ..... و هلم جرا .

القنديل التاسع

الصعيد الخارجي

منذ قيام النظام الجمهوري في بلادنا الشمال إثر إندلاع الثورة السبتمبرية الخالدة عام ١٩٦٢م و سيل المؤامرات الخارجية مازال يتدفق عليها من كل حدب و صوب ، و زادت حدتها أكثر فأكثر بعد الإنقلاب النوفمبري ضد السلال عام ١٩٦٧م و قيام النظام الشيوعي في الجنوب عام ١٩٦٩م لكثرة المؤامرات الداخلية و القائمين عليها من قبل المتآمرين المحليين الذين يبيعون وطنهم بأبخس الأثمان لمن يدفع لهم أكثر من المتآمرين الخارجيين من كل صنف و لون كما هو ديدنهم اللئيم و عرفهم الخبيث على مر العصور .

ما الذي يدفع أمم الأرض بكافة مشاربها إلى إتخاذ العربية السعيدة حلبة صراع طاحنة ضد بعضهم

البعض رغم عدم إكتراثهم بأرضها و أهلها و موقعها الإستراتيجي المتحكم بمضيق باب المندب أو حتى التفكير بإنتشالها من عزلتها المقيتة و وضعها السئ الذي يرثى لها من الثرى إلى الثريا أسوة بجيرانها من دول الخليج النفطية و على رأسهم الجار السعودي اللدود ؟ ..... و غيرها من الأسئلة المتناقضة الدائرة في عقل أبي نشوان المهموم بوطنه المنكوب منذ زمن طويل قبل توليه السلطة و تبنيه سياسة خارجية دولية مبتكرة نوعا ما منبثقة من الهدف السبتمبري السادس القائم على مبدأ الحياد الإيجابي ترضي جميع الأطراف و تحمي بلاده من المؤامرات الداخلية و الخارجية دون أن تبخس حقه في عروبته و إسلامه و تتجاوز سيادته الرسمية و سيادة الدولة و النظام و القانون فيه و تحافظ على وحدته الوطنية و سلامة أراضيه من كيد المعتدين .

و أول درب إستهل مشواره الوعر المحفوف بالمخاطر في هذا المضمار كان مع العدو التاريخي لليمنيين شمالا و جنوبا نوعا ما منذ عام ١٩٦٩م السعودية و جارهم الأكبر و الكريم كرما حاتميا عليهم بمساعداته المالية التي لا تنضب و إيواء إبنائهم المغتربين الفارين نحوه بالآف هربا من أوضاعهم المأساوية التي لا تطاق داخل وطنهم الأم التي تأكل أولادها دون رحمة أو شفقة !!

حاول أبو نشوان فك الطلاسم المرتبطة بعلاقة بلاده الشائكة المتناقضة مع هذا البلد الخليجي الكبير بإنتاجه النفطي الضخم الذي وضعه في أعلى مراتب الدول المصدرة له على وجه هذه البسيطة مرارا و تكرارا ، سيما و أنه عاصر المراحل الأولى من صراع أبناء جلدته ضدها خلال فترة الحرب الأهلية قبل أن يتصالحوا معها و حلفائها الإماميين الملكيين عام ١٩٧٠م و تجبرهم على تمديد

إتفاقيـــة الطـــائف عـــام ١٩٧٤م التـــي أثـــارت غضـــب الجميـــع آنـــذاك ، كيـــف يكرهونهـــا كرهـــا شـــديدا فـــي العلـــن و يحبونهـــا حبـــا جمـــا فـــي الســـر ؟ هـــل عـــداؤهم لهـــا عـــداء فلكلـــوري علـــى غـــرار النمـــوذج الباكســـتاني مـــع الهنـــود و النمـــوذج التركـــي مـــع اليونـــانيين حيـــث صـــار فـــي عـــداد العـــادات و التقاليـــد المتوارثـــة لـــدى شـــعبنا العريـــق منـــذ الأزل جـــيلا بعـــد جيـــل ؟ أم نـــابع مـــن ســـلبهم أراضـــي عســـير و نجـــران و جيـــزان و الباحـــة و الربـــع الخـــالي مـــن حضـــن تـــراب أمتنـــا القحطانيـــة الكبـــرى منـــذ عهـــد بناتهـــا الحميـــريين حتـــى يومنـــا هـــذا ؟ ألـــم لـــه علاقـــة بالعـــداء الطـــائفي بـــين الأقليـــة الزيديـــة فـــي الشـــمال و العقيـــدة الوهابيـــة للدولـــة الســـعودية منـــذ عـــام ١٩٣٤م ؟ أم عـــدم تقـــبلهم إغـــداق الله عـــز و جـــل علـــيهم بـــالثراء الفـــاحش و هـــم مجـــرد بـــدو أعـــراب أجـــلاف عـــديمي الأصـــل بـــدلا مـــنهم و هـــم و لا فخـــر

كريمو المحتد و أحفاد حضارة عريقة عمرها خمسة آلاف سنة دوى صيتها الآفاق .... الخ .

و بعد جهد جهيد من البحث المستفيض لهذه المعضلة الغامضة من تاريخنا الحديث الذي لم يكتب بعد لإكتظاظه بالتناقضات العلمية أسوة بنظرائه القديم و الوسيط و الإسلامي إكتشف أن المشكلة ليست في السعودية بل في الشماليين أنفسهم و لا سيما أفراد الطائفة الزيدية منهم و حقدهم و غلهم و حسدهم و نفاقهم اللائي يستخدمونها في إبتزاز الأولى و إستغلالها نهب أموالها دون وجه حق تحت غطاء الله و الوطن و الثورة و الشيوعية و الوحدة البريئون منهم براءة الذئب من دم يعقوب بعدما أدركوا حجم قوتها السياسية و العسكرية و الإقتصادية الهائلة و الرخاء و النعيم و الأمن و الأمان و الإستقرار الذي يرفلون بعيشه الرغيد بين أفياء حديقته الغناء حتى الآن و

هـــم الـــذين كـــانوا مـــن قبـــل يعيشـــون حيـــاة الـــذئاب المتوحشـــة المتصـــارعة ضـــد بعضـــها الـــبعض حـــول فريســـة يتيمـــة لا تســـد الرمـــق فـــي أرض جـــرداء تســـودها شريعة الغاب .

و مـــن هـــذا المنطلـــق و مـــن أجـــل أن يوقـــف هـــذه الدولـــة الجـــارة التـــي لـــم تـــرع أصـــول حســـن الجـــوار معهـــم منـــذ زمـــن طويـــل عنـــد حـــدها أن يقاومهـــا علـــى أرض صـــلبة أساســـها دولـــة قويـــة تفـــرض الأمـــن و النظـــام و القـــانون علـــى جميـــع المـــواطنين بكافـــة مشـــاربهم و تحقـــق لهـــم الأمـــان و الإســـتقرار و الرخـــاء الإقتصـــادي و رغـــد مـــن العـــيش و الثـــراء الفـــاحش و النعـــيم الـــوافر و قطـــع دابـــر طابورهـــا الخـــامس فـــي الشـــمال مـــن مراكـــز القـــوى القبليـــة و الطائفيـــة و المناطقيـــة و السياســـية و العســـكرية و الرجعيـــة الفاســـدة الـــذين إعتـــادوا علـــى الإرتـــزاق منهـــا ليـــل نهـــار منـــذ ســـتينات القـــرن العشـــرين و إستئصـــال شـــأفتهم إلـــى غيـــر رجعـــة حتـــى يـــتمكن

تـدريجيا مـن إلغـاء علاقـة التبعيـة المفروضـة علـيهم مـن قبلهـا عـام ١٩٧٠م و إسـتبدالها بعلاقـة جديـدة قوامهـا النديـة و الإحتـرام المتبـادل لسـيادة كـل منهمـا للآخـر ، و هـذا مـا دفعـه إلـى تحسـين علاقتـه مـع إخوانـه الجنـوبيين فـي الـوطن بعـد سـبع سـنوات مـن العـداء و التنـاحر و التنـافر السياسـي مارسـه أسـلافه النـوفمبريين ضـدهم بضـغط مـن حليفـتهم و جـارتهم الكبـرى المتوجسـة أشـد الخـوف مـن الدولـة الشـيوعية الوحيـدة فـي عالمنـا العربـي الكبيـر و دباباتهـا الواقعـة علـى مشـارف حـدودهما الرمليـة المشـتركة منـذ إعلانهـا الويـل و الثبـور و الكفـاح الثـوري المسـلح ضـدها و غيرهـا مـن البلـدان الرجعيـة الموالـة للمعسـكر الغربـي و زعيمـتهم و كبيـرهم الـذي علمهـم السـحر بلـد العـم سـام داخـل كثبـان شـبه الجزيـرة العربية الجرداء .

لـم يسـتوعب أصـدقاء أبـي نشـوان و رفاقـه المخلصـين فـي أرجـاء المعمـورة بمـن فـيهم أنـا سـر تحمسـه المفـرط للجنـوبيين الشـيوعيين فـي مواجهتـه للسـعودية رغـم أنـه بـذلك يحـل المشـكلة بمشـكلة أكبـر و يزيـد مـن إشـتعال المنطقـة فـي خضـم حربهـا البـاردة أكثـر ممـا هـي مشـتعلة عبـر وضـع النـار جنـب البنـزين حسـب تعبيـر إخواننـا المصـريين و لا المسـوغات أو الـدوافع التـي سـاقها لتبريـر تصـرفه الآحـادي الجانـب ذاك ، بـدء مـن سـعيه الحثيـث نحـو تحقيـق الوحـدة اليمنيـة معهـم عـن رغـم أنهـم مثـل إخـوانهم الشـماليين إنفصـاليون حتـى النخـاع حتـى بعـدما حـاربوا النعـرات الطائفيـة و القبليـة و المناطقيـة فـي بلادهـم و حـافظوا علـى طابعهـا المـدني المتحضـر بشراسـة إثـر نيلهـا الإسـتقلال عـن بريطانيـا عـام ١٩٦٧م ، لكـن هـذا لا يعنـي أنـه تـرك لهـم الحبـل علـى الغـارب بـل أمسـك العصـا مـن الوسـط فـي

علاقاته الخارجية مع جيرانه السعوديين و الجنوبيين بغاية التوازن و الثبات كما صنع مع حلفائهم الكبار الأمريكيون و الروس بإعتباره أول حاكم شمالي (بعدما فشل نظيره السلال و ولي نعمته الفريق العمري في ذلك لمواجهة المصريين) سعى لتمتين أواصر التحالف مع زعيمي المعسكرين الشرقي و الغربي مباشرة دون الحاجة إلى المرور عن طريق أذنابهم الإقليميين في منطقة الشرق الأوسط الذين مازالوا يمارسوا وصايتهم الإمبريالية على من هم أضعف منهم شريطة ألا تؤثر سلبا على سيادته الوطنية تماشيا مع مبدأ الحياد الإيجابي النابع من ثورته السبتمبرية الخالدة القائم على التوازن بين المصالح الداخلية و نظيراتها الخارجية شرطا ألا تتجاوز بشكل سافر الخطوط الحمراء المتمثلة بسيادة الدولة و النظام و القانون و وحدة الوطن المركزية و سلامة أراضيه .

و من هذا المنطلق الهادف السالف الذكر و إيمانه بتحقيق الوحدة الوطنية لجميع اليمنيين داخل الشمال و الجنوب و نجران و عسير و جيزان و الباحة السعودية و ظفار و جزر كوريا و موريا العمانية رغم علمه علم اليقين بأنهم إنفصاليون حتى النخاع و أنانيون بغاية التفاهة و السخافة الطفولية الصبيانية كرس أبو نشوان مساعيه الحثيثة لتحقيقها على أرض الواقع معتبرا قيامها مقدمة لقيام الوحدتين العربية و الإسلامية حسب زعمه و لكن بالتدريج و وفق خطوات مدروسة بشكل سليم ، أولها الوحدة الكونفيدرالية حيث تمثلت بوادرها عبر إتفاقية الدفاع المشترك بعد دعمهم العسكري لجيشه النظامي خلال إشتباكاته الحدودية المسلحة ضد نظيره السعودي و إنتصاره الساحق عليه عامي ١٩٧٥م و ١٩٧٦م و منع السفن الحربية و المدنية الإسرائيلية من إقتحام مضيق باب المندب

(١٩٧٥-١٩٧٧م) و السوق المشتركة عام ١٩٧٥م و إتحاد النقابات و المنظمات الأهلية و الشعبية و إقامة المجلس اليمني الأعلى عام ١٩٧٦م و إلغاء تأشيرات الدخول بين الشطرين عام ١٩٧٧م ..... الخ .

و ذلك خلال فترة زمنية محددة تنتهي حسب تخطيطه عام ١٩٧٧م لتبدأ بعدها المرحلة الفيدرالية من الوحدة اليمنية مع بعض التعديلات المحلية اللاتي ترضي جميع الأطراف حيث تتحول الدولتين على إثر هذا إلى مقاطعتين إداريتين ضمن دولة واحدة ، و مع ذلك فكل واحدة منهما مستقلة إستقلالا إداريا لها حكومتها الخاصة و برلمانها الخاص و شرطتها الخاصة و ضرائبها الخاصة و حرسها الوطني الخاص و حزبها الحاكم الخاص تدير نفسها بنفسها ما عدا شئون الدفاع و الخارجية و الضرائب التي تدار من العاصمة الإتحادية للدولة

المختارة من قبل جميع الأطراف و تكون في وسط الحدود الشطرية السابقة حيث كان ينوي و نظيره سالمين إختيار تعز الحالمة عاصمة للبلاد من صنعاء التي ستصبح عاصمة لأقليم الشمال و عدن عاصمة لإقليم الجنوب ، كما سيتم حل الجيشين النظاميين للشمال و الجنوب و دمجهما في جيش نظامي إتحادي واحد ولاءهما المطلق لرئيس الجمهورية الإتحادي الذي هو ذاته حاكم و ر ئيس وزراء إقليم الشمال و نائبه و رئيس الوزراء الإتحادي الذي هو ذاته حاكم و رئيس وزراء إقليم الجنوب حيث كلاهما منتخبان من قبل البرلمان الإتحادي المنتخب من قبل برلماني الشمال و الجنوب الذي يتولى محاسبتهما و مراقبتهما و الموافقة على قراراتهم و قوانينهم الجمهورية و الوزارية اللاتي لا يمكنهما إصدارها و تنفيذها دون الرجوع إليه و عرضها عليه وفقا للدستور الإتحادي

لتظل الوحدة بوضعها الفيدرالي مهما طال زمانها أم قصر حتى يقرر المواطنون بملء إرادتهم الإنتقال إلى المرحلة الأخيرة ألا و هي المرحلة الإندماجية عبر إستفتاء عام .

و لم يكتف أبو نشوان بهذا القدر من طموحاته الخارجية عند هذا الحد ، بل سعى جاهدا إلى تحويل بلاده الشمال قوة إقليمية منافسة لنظيراتها في الشرق الأوسط و الخليج العربي بعدما كانت تابعة ذليلة لها من قبل وصلت إلى حد سعيه الحثيث لإنشاء حلف دولي يضاهي نظيريه شمال الأطلسي و وارسو نوعا ما بزعامته معروف لديه سرا بحلف البحر الأحمر بعدما عقد أول قمة لها في تعز الحالمة عام ١٩٧٧م هدفه حماية البلدان الواقعة على البحر الأحمر عسكريا و سياسيا من المؤامرات الأمريكية و السوفيتية التي تحاك ضدهم بغية السيطرة على موقعهم الإستراتيجي الهام على

طـــول خطـــوط الملاحـــة الدوليـــة مـــن قنـــاة الســـويس شـــمالا حتـــى مضـــيق بـــاب المنـــدب جنوبـــا مـــا آثـــار إنعقـــاده غضـــب الســـعودية و مصـــر و إســـرائيل و إثيوبيـــا و مـــن ورائهـــم زعيمـــا المعســـكرين الشـــرقي و الغربـــي و لا ســـيما بعـــد ظهـــور نتائجـــه المهمـــة علـــى أرض الواقـــع و المتمثلـــة بمنـــع الســـفن الحربيـــة و المدنيـــة الإســـرائيلية عبـــور مضـــيق بـــاب المنـــدب عـــام ١٩٧٦م و إســـتقلال جيبـــوتي عـــن فرنســـا و الحـــرب الصـــومالية – الإثيوبيـــة عـــام ١٩٧٧م ، فضـــلا عـــن نشـــر حاميـــات عســـكرية شـــمالية علـــى أســـس تعاهـــدي فـــي عمـــان و الإمـــارات و قطـــر و البحـــرين و الكويـــت للـــذود عنهـــا و حمايتهـــا مـــن الإعتـــداءات الخارجيـــة عليهـــا (١٩٧٦– ١٩٧٧م) بـــدلا مـــن نظيراتهـــا الأمريكيـــة بموافقـــة حكوماتهـــا المتحمســـة لـــذلك مـــا أغضـــب الســـعودية و إيـــران و أمريكـــا أيضـــا ، عـــلاوة علـــى رفضـــه التـــدخل الخـــارجي فـــي الشـــأن اللبنـــاني و تـــرك مهمـــة إنهـــاء

الحـــرب الأهليـــة فـــي بـــلاد الأرز و تطهيـــره مـــن الأخطـــار الداخليـــة و الخارجيـــة المحدقـــة بهـــا للجـــيش النظـــامي و دعمـــــه بأحـــــدث الأســـــلحة الخفيفـــــة و الثقيلـــــة المتطـــورة لتأديـــة عملـــه علـــى أكمـــل مـــا أغضـــب الســـــعودية و ســـــوريا ..... و غيرهـــــا مـــــن السياســـات الخارجيـــة المثيـــرة للجـــدل اللاتـــي جعلـــت مـــن بـــلاده رقمـــا صـــعبا علـــى الصـــعيدين الإقليمـــي و الـــــدولي و قائـــــدها الطمـــــوح نـــــابليون العـــــرب و المســـلمين رغمـــا أنـــه لـــم يغـــز بلـــدا واحـــدا علـــى وجـــه هـــذه البســـيطة برقعتهـــا الجغرافيـــة المعقـــدة بصـــراعاتها البشـــرية الأزليـــة التـــي لا تنضـــب منـــذ قتـــل قابيـــل لأخيـــه هابيل حتى يومنا هذا .

القنديل العاشر

أخطاء قاتلة

كان يوم مشمسا إلى حد القيظ الشديد الجفاف كما هي عادة عاصمتنا القاحلة صنعاء وقت الظهيرة دون أن أعلم السبب الذي دفعني لإختيار هذا الموعد الغير مناسب للذهاب إلى صالون إبراهيم القباطي الكائن بالقرب من وزارة الداخلية لحلاقة شعري سيرا على الأقدام قادما من منزلنا القابع خلف مطابع الكتاب المدرسي رغم الزحام الشديد المفتعل من قبل الناس سائقين كانوا أم مشاة سعيا وراء نصيبهم الزهيد من طعام الغداء لا يسمن و لا يغني من جوع و أكوام هائلة من مخدرهم المفضل القات كافية لنسيانهم هموم الدنيا و ما فيها و لو للحظات قلائل .

و مـا إن وصـلت إليـه لاهثـا مـن شـدة التعـب إلـى حـد مـا حتـى فوجئـت بـه و هـو يمـتص عـودا أخضـرا مـن القـات بعـدما تنـاول للتـو وجبـة غـداء لا تسـد الرمـق مكونـة مـن مـزيج سـريع مـن سـحاوق[٥٨] و زبـادي كمـا هـي عـادة الموالعـة عنـدنا فـي صـنعاء المتعجلـين علـى مضـغ القـات بأسـرع مـا يمكـن كـي يهـدئ مـن أعصـابهم التـي لا تهـدأ أبـدا حتـى بعـد تناولـه و يقـابلني بوجهـه الطفـولي البشـوش و يعـد العـدة و يجهـز أدواتـه و لإسـتقبالي علـى أحـر مـن الجمـر بإعتبـاري زبونـه الـدائم رغـم قصـر قامتـه و رأسـه الأصـلع بحجـم البطـاطس المسـلوقة و الأجـر الزهيـد الـذي أدفعـه لـه لقـاء حلقـه شـعري حسـب طلبـي المعتـاد (رقـم واحـد) كـي أتخلـص مـن عـبء شـعري الأجعـد الكثيـف و قشـرته التـي لا تطـاق الـذي لـم يجـد تمشـيطه و تهذيبـه بكافـة الشـامبوهات المحليـة و المسـتوردة نفعـا ،

[٥٨] مسحوق الطماطم باللهجة اليمنية (المؤلف) .

تقــول معمــول لــي عمــل أو دجــل مــن وراء الســتار ؟ الله أعلم .

عمومــا ، و أثنــاء مــا كــان يباشــر عملــه تجاذبــت معــه أطــراف الحــديث حــول وضــع الــبلاد المــزري خــلال الحــرب الأهليــة الراهنــة و كــدت أن أختلــف معــه إلــى حــد الشــجار عنــدما نعــت أبــا نشــوان بالعمالــة للخــارج إســتنادا لبــراهين مزعومــة و ملفقــة مــن قبــل عمنــا و الشــيخ الأحمــر قبــل أن يهــدئ مــن غضــبي و ينتقــل بــي إلــى موضــوع آخــر دون أن يفســد خلافنــا الحــاد حــول أبي نشوان في الود قضية تذكر .

و مــع ذلــك ، ظــل إتهــام إبــراهيم المزعــوم لــه بالعمالــة للخــارج يطــن فــي رأســي العــاجي طنــين النحــل المــزعج حــول خلايــاهن الشــمعية فــي همــة و نشــاط منقطعــا النظيــر حتــى بعــدما أخــذت حمامــا منعشــا و بــدلت ثيــابي و تناولــت غــدائي و إســتلقيت علــى فراشــي لأخــذ قيلــولتي المعتــادة ، لــيس لأنهــا أصــابت كبــد

الحقيقة كما يدعي الشيخ الأحمر في مذكراته المثيرة للجدل و المزيفة و المشوهة للحقائق و لوى من خلالها عنق التاريخ كما يحلو له بل قادتني إلى مربط الفرس الذي كنت أتجاهله بملء إرادتي مرارا و تكرارا من شدة إعجابي به إلى حد التقديس نوعا ما و المتمثل بتقييم عهده الزاهر و رصد إيجابياته و سلبياته خلال أعوامها الثلاث ، فهو في النهاية مثل غيره من البشر يخطئ و يصيب حتى و لو كان نبيا مرسلا من الله عز و جل ، و رغم ندرة أخطائه القيادية التي لا تعد بالأصابع إلا أنها ما لبثت أن تحولت إلى مسامير قاتلة في نعشه العظيم دون أن يدري .

فعلى الرغم من تطهيره الجذري لأجهزة الدولة المدنية و العسكرية من العناصر الرجعية الفاسدة إلا أنه أبقى على بعض منها في هرم السلطة كرمز القمع البوليسي في العهد النوفمبري المقدم محمد

خميس بمنصبه كمدير للأمن الوطني رغم علمه بما أرتكبه من جرائم يندى لها الجبين بحق الأبرياء من سكان محافظات تعز و إب و البيضاء تحت شعار مكافحة الشيوعية و جبهة التخريب ، سيما و أنه أول من إستخدم سياسة الإختفاء القسري في الشمال لقمع معارضي النظام النوفمبري منذ عام ١٩٦٨م ، كما أنه عين رئيس الوزراء السابق عبدالله الحجري مستشارا له و عضوا في المجلس الأعلى للقضاء و رئيس لجنة تقنين الشريعة الإسلامية هو معروف لدى الجميع بأنه واحد من أنصار النظام الإمامي البائد خلال الحرب الأهلية (١٩٦٢-١٩٧٠م) و تورطه في التوقيع على إتفاقية الحدود المخجلة السالفة الذكر عام ١٩٧٤م و قائد سلاح المدرعات الغشمي رئيسا لهيئة الأركان و تابعه الأمين نوعا ما عمنا قائدا للواء تعز دفعة واحدة و أبقى على المقدم علي حسن

الشيبة في منصبه كقائد لسلاح الطيران إلي جانب عضويتهم في مجلس قيادة الحركة رغم أن ثلاثتهم تورطوا في مجازر بشعة ضد زملائهم التقدميين في الجيش النظامي خلال أحداث أغسطس الدامية عام ١٩٦٨م ..... و غيرهم من عناصر الفساد النوفمبري الذين أبقى عليهم دون حسيب أو رقيب من منطق عفا الله عما سلف رغم أنه لم يعفوا عن سلفه القاضي الإرياني و لا عن وزير الخارجية محمد النعمان ، فضلا عن أنهم من وجهة نظره آنذاك تحت سيطرته و من السهل القضاء عليهم لأنهم يدينون بحياتهم له قبل أن يخيب ظنه فيهم لاحقا أي بعدما سبق السيف العذل .

علاوة على ذلك أغرق أجهزة الدولة بالعناصر التقدمية المنتمية للحزب الناصري (بعدما إنضم إليه سرا قبيل مصرعه بخمسة أشهر) و التي تحولت مع مرور الوقت إلى عناصر فاسدة قبل أن يتم الإطاحة

بهم إثر فشل إنقلابهم العسكري ضد عمنا عام ١٩٧٨م .

كما أن الجهاز المركزي للرقابة و المحاسبة أثبت أنه عديم الفائدة في مكافحة الفساد المالي و الإداري داخل الشمال خاصة و اليمن عامة منذ إنشائه على يديه عام ١٩٧٥م حتى وقتنا الحاضر بعدما شل حركته الرقابية و المحاسبية عن طريق حصر صلاحياته القضائية في إعتقال و محاسبة رجال الدولة المدنيين و العسكريين من فئة مدراء العموم فما تحت فقط دون فئات وكلاء الوزارات و الوزراء و رؤساء الوزراء و الجمهورية و قادة الجيش النظامي و الفرق و الألوية العسكرية الذين لا يحاسبون و لا يراقبون و لا يعاقبون إلا عن طريق رئيس الجمهورية و القائد الأعلى للقوات المسلحة شخصيا !

و يا ليت أخطاؤه القاتلة وقفت عند هذا الحد ، بل طالت هيئة تطوير مدينة صنعاء[٥٩] التي أنشئت عام ١٩٧٥م بغية تطوير هذه المدينة الهمجية العصية على التطوير و التحديث ردحا من الزمن إلى مدينة عصرية بمعنى الكلمة دون أن تؤدي واجبها على أكمل وجه حيث إنشغلت بإنشاء صنعاء الجديدة الممتدة من شارع علي عبد المغني حتى شوارع حدة الرئيسية و الفرعية و ميدان السبعين تاركة نظيرتها القديمة عرضة للإهمال و العبث بمن فيها منطقة السائلة التي لم تحل مشكلتها المستعصية المتمثلة بعدم تصريفها السليم لسيول الأمطار و غرق القاطنين حول المكان و مجاريره العفنة في لجتها الملوثة إلا بعد قيام وحدتنا المباركة على الرغم من رصد حكومات الشمال منذ إندلاع ثورتنا الخالدة ميزانيات هائلة لهذا الغرض .

[٥٩] تغير إسمها لاحقا إلى أمانة العاصمة عام ١٩٨٠م (المؤلف) .

أمـــا سياســـته الخارجيـــة فحـــدث و لا حـــرج ، فلقـــد أدت كمـــا أســـلفنا مـــن قبـــل طموحاتـــه الدوليـــة فـــي تحويـــل بلـــده دولـــة إقليميـــة عظمـــى بعـــد مـــؤتمر أو حلـــف البحـــر الأحمـــر و تدخلاتـــه الدبلوماســـية فـــي شـــئون ســـوريا و لبنـــان و العـــراق و مصـــر و ليبيـــا و إيـــران و فلســـطين و دول الخلـــيج العربـــي (و علـــى رأســـهم الســـعودية) و أمريكـــا و روســـيا و فرنســـا و الأمـــم المتحـــدة و البنـــك الـــدولي الـــذي عـــرض علـــى رئيســـها بـــول ماكنمـــارا[٦٠] إقراضـــه مبلـــغ ٥٠٠ مليـــون دولار التـــي تشـــكل قطـــرة فـــي جـــوف إحتياطـــات بـــلاده الماليـــة الهائلـــة التـــي لـــم ينفـــق منهـــا علـــى تطـــوير وطنـــه ســـوى النـــذر اليســـير الـــذي لا يســـد الرمـــق هنـــاك إلـــى نتـــائج عكســـية حـــادة ســـاهمت فـــي تأليـــب العـــداوات ضـــده مـــن قبـــل الأمـــريكيين و الســـوفييت و الســـعوديين و الجنـــوبيين و العـــراقيين و الســـوريين و أعـــوانهم داخـــل

[٦٠] كان وزير الدفاع الأمريكي خلال حكومة رئيس الجمهورية ليندون جونسون (١٩٦٣-١٩٦٨م) (المؤلف) .

الشـــمال الـــذين لـــم يقـــض علـــيهم قضـــاء مبرمـــا دون أن يعـــرف الســـبب ، حتـــى الفرنســـيون الـــذي وصـــفوه علـــى لســـان رئيســـهم جيســـكار ديســـتان بنـــابليون العـــرب ضـــاقوا ذرعـــا مـــن نزعتـــه الإســـتقلالية الطامحـــة تلـــك ، عـــلاوة عـــن رفضـــه إلغـــاء مجلـــس التنســـيق اليمنـــي – الســـعودي القـــائم منـــذ عـــام ١٩٧٠م حتـــى عـــام ١٩٩٠م الـــذي يمثـــل الوصـــاية الأجنبيـــة لـــبلاد الحـــرمين الشـــريفين علـــى موطنـــه العريـــق منـــذ الأزل و موافقتـــه المشـــاركة ضـــمن قـــوات الـــردع العربيـــة خـــلال الحـــرب الأهليـــة فـــي لبنـــان رغـــم رفضـــه الشـــديد لهـــا بإعتبارهـــا نابعـــة مقتـــرح ســـعودي ذو نوايـــا خبيثـــة هدفـــه إضـــفاء الشـــرعية للوجـــود العســـكري الســـوري الـــداعم للإنعـــزاليين الموارنـــة فـــي بـــلاد الأرز[٦١] ..... و غيرهـــا مـــن المثالـــب و الأخطـــاء الصـــغيرة مـــن وجهـــة نظـــره و لا تـــؤثر حســـب زعمـــه علـــى ســـجله الناصـــع

[٦١] لقب يطلق على لبنان (المؤلف) .

البيـــاض الحافـــل بالإنجـــازات الكبـــرى لـــبلاده علـــى كافـــة الأصـــعدة قبـــل أن تتحـــول إلـــى ســـوس أســـود ينخـــر فـــي ســـطورها المدونـــة بمـــاء الـــذهب المجيـــد لعهـــده التليـــد جـــيلا بعـــد جيـــل ، و عنـــدما قـــرر تصـــحيحها تـــم لـــه مـــا أراد و لكـــن بعـــدما ســـبق الســـيف العـــذل و تحـــول رفـــاق الأمـــس إلـــى أعـــداء لـــدودين حيـــث دبـــروا مـــؤامرة إغتيالـــه الآثمـــة بليـــل بإيعـــاز مـــن جيرانـــه الســـعوديين و الجنوبيين من وراء الستار .

كـــان يومـــا حـــارا للغايـــة رغـــم وقوعـــه فـــي بـــراثن الشـــتاء القـــارس مـــن هـــذه الســـنة المشـــئومة حيـــث كـــان أبـــو نشـــوان فـــي مقـــر عملـــه بالقصـــر الجمهـــوري يعـــد العـــدة لزيارتـــه الموعـــودة إلـــى الجنـــوب كـــي يعلـــن مـــن عاصـــمته عـــدن قيـــام الوحـــدة الفيدراليـــة للبلـــدين قبـــل أن يـــذهب مـــع شـــقيقه عبـــدالله قائـــد لـــواء العمالقـــة و قائـــد حرســـه الجمهـــوري قنـــاف زهـــرة لزيـــارة قائـــد جيشـــه النظـــامي الغشـــمي لتنـــاول الغـــداء بـــدعوة منـــه فـــي ظـــروف غامضـــة

غيـــر مناســـبة عنـــد منـــزل العائلـــة الكـــائن فـــي مســـقط رأســـه ضـــلاع و الواقـــع أعلـــى الجبـــل القاحـــل المعـــزول كالســـيف فـــردا غـــرورا و تكبـــرا و خوفـــا مـــن مـــن هـــم أقـــل مـــنهم شـــأنا مثـــل غيـــره مـــن المنتمـــين لعليـــة القـــوم الزيـــديين و لا ســـيما طبقتـــه الرفيعـــة طبقـــة العقـــال بمنطقـــة الـــيمن الأعلـــى دون أن يتخـــذ و مـــن معـــه الإحتياطـــات الأمنيـــة المســـبقة لحمـــايتهم و ضـــمان ســـلامتهم كمـــا جـــرت العـــادة لثقتـــه العميـــاء بالغشـــمي و عمنـــا و خمـــيس و عبـــد العـــالم و القهـــالي لعـــدم إعتراضـــهم علـــى إجراءاتـــه المتخـــذة بحقهـــم و المتمثلـــة بتجريـــدهم مـــن مناصـــبهم القياديـــة و أمـــوالهم المنهوبـــة مـــن الشـــعب أثنـــاء أدائهـــم مهـــامهم الرســـمية خـــلال فتـــرة وجيـــزة و هـــو لا يعلـــم يقينـــا بـــأن هـــدوئهم المريـــب ذاك بـــات الهـــدوء الـــذي يســـبق العاصـــفة الهوجـــاء لغـــدرهم و خيـــانتهم القـــذرة لـــه ســـرعان مـــا خلعـــت ثيـــاب حملانهـــا

الوديعة لتكشر عن أنياب ذئابها السامة بعدما رفعهم من الثرى إلى الثريا دون وجه حق .

أضحت جريمة إغتياله الأحقر و الأشنع و الأكثر دنأة و غرابة في سلسلة الإغتيالات السياسية التي شهدتها البشرية عبر تاريخها المعاصر و مخالفة لتعاليم ديننا الإسلامي و أعرافنا القبلية الزيدية التقليدية التي نتبجح بتمسكنا السمج بها أمام الملأ ليل نهار في السر و العلن ، فلقد كانت المرة الأولى التي يقتل فيها رئيس دولة على يد من إستضافه في بيته و هو آمن و يأكل من طعامه و هو آمن و يشرب من شرابه و هو آمن ، بل إن الإسرائيليين الأوغاد المعروفين بجبنهم و غدرهم لم يغدروا بضيفهم اللدود آنذاك السادات و يقتلوه في عقر دارهم خلال زيارته الأولى لكيانهم الغاصب ردا على دحر جيشهم المهزوم من أرض سيناء و إجبار جنوده الذين إنتزع أرواح عشرين ألف منهم حرقا

على الفرار من أمام خير أجناد الأرض خلال حرب السادس من أكتوبر فما بالك بمن وصفهم رسولنا الكريم (ص) بأنهم أصفى قلوبا و ألين أفئدة يرتكبون مثل هذا السلوك المشين الذي يندى له الجبين ؟

ما إن إنتهى أبو نشوان من تناول غدائه العامر بما لذ و طاب و هو المعروف بنقطة ضعفه المتمثلة بنهمه الشديد للأكل و الشرب و تسببت بإزدياد وزنه و بدانة جسمه بالسرعة القصوى خلال ثلاث سنوات من ستينات القرن العشرين بعدما كان فيما مضى نحيل القامة طري العود شبيها بمطربنا الآنسي في عز شبابه ، ثم غسل يديه بالماء الموضوع في قدر واسع من الألمنيوم و الصابون بجواره لإزالة الدسم العالق في يديه و فمه كما من سبقوا ، و بعد ذلك توجه من غرفة الطعام إلى الديوان لتناول كوبا من الشاي ليفاجأ بأنه خالي

الوفاض من الضيوف الآخرين كان على رأسه الطير قبل أن ينسف صوت الرصاص الهادر القريب منه جدار الصمت الملفوف حول المكان ، فترتعد فرائصه و تنتابه مشاعر القلق و الرهبة و يسري الشك و الريبة بكل ركن في جسده البدين ، و ما إن هم بالوقوف لرؤية ما جرى حتى إقتحم الغشمي و شقيقه محمد و عمنا و ثلاثة من رجاله الديوان (إيش الحكاية يا صفي[٦٢] ؟)

(إيش من حكاية يا فندم ؟)

(حكاية الرصاص الذي سمعته ذلحين ؟)

(الظاهر إنه عرس واحد جنبنا بيقرح الرصاص)

(بتستهبل حضرتك ؟ بأقولك داخل البيت و أنت تقولي خارج ؟)

[٦٢] لقب من يتسمون بإسم أحمد لدى أتباع الطائفة الزيدية (المؤلف) .

فـأخرج البندقيـة مـن علـى ظهـره مشـيرا إلـى فوهتهـا الساخنة (جت من هنا ؟)

فـوجئ أبـو نشـوان بـالجميع يصـوبون بنـادقهم الآليـة نحـوه ، و عنـدما حـاول عبثـا منـاداة عبـدالله أو قنـاف و مرافقـوهم وقـف الغشـمي لـه بالمرصـاد و أمـر رجالـه بإقتيـاده إلـى الغرفـة المجـاورة التـي دوى منهـا صـوت الرصـاص السـالف الـذكر دون إكتـراث لمكانتـه الإعتباريـة كـرئيس للـبلاد و قائـد أعلـى لهـم حيـث إقتـادوه دون حيـاء أو خجـل إلـى هنـاك جـرا كمـا تجـر الشـاة إلـى المسـلخ و تـذبح ذبـح البعيـر ليشـاهد بـأم عينيـه مفزوعـا إن لـم نقـل مـذهولا مـن هـول الصـدمة جثـة شـقيقه الأصـغر و رفيـق دربـه منـذ إلتحاقهمـا بـالجيش حتـى وصـولهما إلـى هـرم السـلطة غارقـا فـي دمائـه الطـاهرة حيـث ذبحـوه بـدم بـارد دون أن يحـرك مـن رجـال الدولـة المـرافقين لأخيـه و سـكان ضـلاع و نواحيهـا سـاكنا أو يجـرؤون علـى التـدخل و لـو بشـق

تمـــرة ليكـــرروا فعلـــتهم الشـــنعاء معـــه ظلمـــا و عـــدوانا و يمطـــرون جســـده البـــرئ بوابـــل مـــن رصـــاص غـــدرهم و خيـــانتهم دون رحمـــة أو شـــفقة كمـــا غـــدرت الأفعـــى بعـــابر الســـبيل الـــذي أواهـــا داخـــل ثيابـــه و حماهـــا مـــن البرد القارس ليكون جزاؤه جزاء سنمار .

و لـــم يكتفـــي الأوغـــاد بهـــذا فحســـب ، فبعـــد مـــرور ثـــلاث دقـــائق علـــى هـــذه المجـــزرة الرهيبـــة و نقلـــه جثتـــه إلـــى القصـــر الجمهـــوري صـــور لهـــم خيـــالهم المـــريض أن يســـعوا إلـــى التشـــهير بشـــرفه الطـــاهر و تلطيخـــه بالعـــار عنـــدما جـــردوه مـــن ثيابـــه كلهـــا يـــا مـــولاي كمـــا خلقتنـــي و وضـــعوا بجانبـــه قنينتـــين مـــن الخمـــر المعتقـــة و فتـــاتين فرنســـيتين فـــي غايـــة الحســـن و الجمـــال عـــاريتي الجســـد تمامـــا تمارســـان الجـــنس مـــع جثمانـــه الهامـــد أرســـلهما ســـفيرنا لـــدى فرنســـا محمـــد الشـــامي قبـــل أن يردونهمـــا قتيلتـــين ذبحـــا فـــي التـــو و اللحظـــة دون أن تحركـــا ساكنا !

الغريب أن ثالث المستهدفين من هذه المؤامرة القذرة محمد قناف زهرة لم يقتل بل تم إخفاؤه قسريا في مكان لا يعلمه سوى الله عز و جل و خاطفوه حتى وقتنا الحاضر ، و الأغرب أن حلفاء المتآمرين السعودية و الجنوب رغم كرههم الشديد لأبي نشوان سرا و علانية لم يطلبوا منهم إرتكاب هذه الجريمة التي يندى لها الجبين بل قاموا بذلك من تلقاء أنفسهم ، و الأكثر غرابة أنهم إرتكبوها و دفنوا الجثث دون تحقيق قضائي في مقتلهم أو الحصول على تصريح الدفن من قبل الطب الشرعي الجنائي في وضح النهار على مرأى و مسمع من الجميع بمن فيهم أنصاره و أعوانه و أحبائه و لا سيما الناصريون منهم دون أن يحركوا ساكنا ضد القتلة و لو برصاصة واحدة !!

و هذا ما أدركه أبو نشوان بعدما صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها و هو يتأمل من السماء تشييع

جنازته المهيبة حيث خرجت الملايين من أبناء شعبه القادمين من محافظات الشمال عن بكرة أبيها لحضورها إلى جانب القتلة و هم يمشون فيها حسب تعبير المثل المصري[٦٣] دون أن يجرؤا على قتلهم أو حتى الإعتداء عليهم خوفا منهم ما عدا النساء المهاجرات القادمات من إثيوبيا و فيتنام اللاتي رشقنهم بأحذيتهن قبل أن يفرقهن رجال الأمن عرفانا بجميله لهن عندما أحتضن عائلاتهم الفارة من براثن الشيوعيين في أرض المهجر في مسقط رأسهم بالخير و النعيم الذي أغدقه عليهم و على غيرهم من المغتربين في أرجاء المعمورة خلال فترة حكمه الذهبية بعدما أنارت قناديلها الوهاجة الطريق المظلم لأبناء جلدته الضائعين في مهب الريح على مر العصور قبل أن تدور في رحى الفراغ الحالك السواد على أيديهم و جبنهم و غدرهم و

[٦٣] يقتلوا القتيل و يمشوا ورا جنازته (المؤلف) .

نفـــاقهم المثيـــر للإشـــمئزاز يكـــذبون فـــي كلامهـــم و يخلفـــون وعـــودهم و يخونـــون أمانـــاتهم و عهـــودهم و مـــواثيقهم و يفجـــرون فـــي خصـــوماتهم التافهـــة إلـــى الدين .

(النهايـــــة)